دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department

حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

اللحن اللغوي

وآثاره في الفقه واللغة

تأليف

الشيخ محمد عبدالله ابن التمين

إدارة البحوث

تعزيزاً لمكانة اللغة العربية أطلق صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي في أبريل 2012م حزمة مبادرات قيّمة لتعزيز اللغة العربية، ونشرها، وتمكينها، من أجل أن تكون دولة الإمارات العربية المتحدة بحلول عام 2021م مركزاً للامتياز في اللغة العربية.

فكانت تلك المبادرات خير حافز للجهات ذات الاختصاص للانطلاق في فعاليات منظّمَة تصب في بحار الجهود المبذولة في خدمة لغة القرآن، إيماناً بأن المحافظة على لغتنا "قيمة إسلامية، ومسؤولية وطنية، وترسيخ لهويتنا وجذورنا التاريخية"

وقد كان لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي شرف إطلاق مشروع (حماية اللغة العربية والهوية الوطنية) منذ عام 2008م، وها هي -استجابة لهذه المبادرات الكريمة- تتابع نشاطاتها في تنمية لغة القرآن ورعايتها، وبث الوعي بأهميتها، وبيان الحاجة إليها لتكون لغةً عالمية وأداة للتواصل الثقافي، وعنواناً لعزتنا، ولبنة في البناء الحضاري لأمتنا.

ولذا تضع الدائرة بين أيديكم (حقيبة اللغة العربية) التي تضم أربعة إصدارات بأقلام باحثيها، وتقدمها زهرةً في حدائق اللغة العربية الفصحى، تحت شعار:

اللغة العربية دين وهوية وتواصل.

الإصدارات

(توضيح قطر الندى)
(مفاتيح فهم الكلام العربي)
(اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة)
(العربية درة اللغات)

www.iacad.gov.ae
Tel 04 6087777
Fax 04 6087555
Box 3135 Dubai
Fatwa 800336 فتوى

الطبعة الثانية
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م

ISBN 978 - 9948 - 499 - 52 - 7

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَة

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+
الإمارات العربية المتحدة ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
mail@iacad.gov.ae www.iacad.gov.ae

التدقيق اللغوي

سيد المهدي أحمد ناصر

دائـــرة الشـــؤون الإســـلامية والعمـــل الخيـــري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department
حكومة دبي
GOVERNMENT OF DUBAI

اللَّحن اللغوي

وآثاره في الفقـه واللُّغـة

تأليف
الشيخ محمد عبد الله ابن التمين

إدارة البحوث

قال أبو بكر رضي الله عنه: « لأن أقرأ فأُسقِط أحبُّ إليَّ من أن أقرأ فألحن ».

المزهر: (٢ / ٣٩٦).

❁ ❁ ❁

وقال عمر رضي الله عنه: « والله لَخطؤُكم في لسانكم أشدُّ عليَّ من خطئكم في رميكم ».

معجم الأدباء: (١ / ٨٢).

❁ ❁ ❁

وكان التابعيُّ الثقة الناسك أيوب السختياني (٦٦هـ - ١٣١هـ) رضي الله عنه، إذا لحن قال: أستغفر الله.

تنبيه الألباب على فضائل الإعراب: (٨٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد: فيسر « **دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي - إدارة البحوث** » أن تقدِّم إصدارَها الجديد وهو الطبعة الثانية المزيدة والمنقحة من كتاب: « **اللَّحن اللغوي وآثاره في الفقه واللُّغة** » لجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى المعرفة، بعد مرور أربع سنوات على صدور الطبعة الأولى التي نفدت بسرعة، وظهر الإقبال الشديد على الكتاب وكثرة الطلب عليه، حتى بلغ عدد تنزيلاته الالكترونية من بعض المواقع فوق الثمانمائة مرة[1].

وهذه الرسالة تتناول بالدراسة البعدين: الفقهي واللغوي لظاهرة اللحن المتفشية في المجتمع، والتي طالت لغة الناس وعباداتِهم ومعاملاتهم، متتبعةً جذور الظاهرة وأسبابها، ومبينةً ما يتعلق بها من

(١) موقع ملتقى أهل الحديث، يوم: ٣/ ٥/ ٢٠١٢م، بلغ عدد تنزيلات الكتاب: ٨١٤ مرة.

أحكام شرعية، جالبةً نصوص العلماء وآراء الفقهاء، ومقدمةً حلولاً وتوصيات تسهم في علاج هذه الظاهرة.

فهي مقاربةٌ فقهيةٌ لغويةٌ لظاهرةٍ اجتماعيةٍ تمس الحاجة إلى تسليط الضوء عليها، وتخصيصها بقسطٍ من البحث والدراسة.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشكر والدعاء **لأسرة آل مكتوم** حفظها الله تعالى التي تحب العلم وأهله، وتؤازر قضايا الإسلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها **صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم**، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشيد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي ويشجع أصحابه وطُلابه .

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والسداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على النَّبي الأمي الخاتم سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدير إدارة البحوث

الدكتور سيف بن راشد الجابري

بين يدي الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، من أرسله ربه بلسان عربي مبين، بشيراً ونذيراً للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فأحمد الله حمداً كثيراً على ما منّ به من قبول لهذا الكتاب لدى محبي اللغة العربية وطلاب العلم والعلماء، يظهر ذلك في ما خصوه به من قراءة وتدارس، فقد أخبرني إمام مسجد في إمارة أبو ظبي أنه هو وجماعة من الأئمة في منطقته درسوه في حلقاتٍ حتى أنهوه، ومنهم من عكف عليه انقطاعاً حتى أكمل قراءته - وربما كان ذلك في رحلة جوية - فقد أكمل أحد الأساتذة الجامعيين قراءته في رحلة بين دبي وشنغهاي بالصين، وقرأه آخر بين نواكشوط بموريتانيا والدار البيضاء بالمغرب، شكر الله للجميع ونفعنا وإياهم بما نقرأ.

ومن مظاهر الاهتمام بهذا الكتاب وضعُه في كثير من المواقع والمنتديات على الشبكة العنكبوتية، ويجري تحميله بكثرة حتى

إنه بلغ عدد مرات تحميله من موقع ملتقى أهل الحديث ٨١٤ مرة.

إنّ مظاهر الاهتمام هذه بكتاب اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة تؤكد تعلق القراء الكرام بلغتهم، وتلهفهم على كل ما يتصل بها من دراسة وبحث، وخاصة موضوع اللحن المعيش والمزعج.

واليوم أقدِّم لمحبي لغة القرآن طبعةً جديدةً منقّحةً ومزيدةً، بعد مرور أربع سنوات على الطبعة الأولى التي نفدت في وقت قصير.

تداركت في هذه الطبعة ما كان من خطأ أو غموض أو سقط، وقد نبهني عدد من الإخوة - جزاهم الله خيراً - على جزء من ذلك، ولهم أقول ما قلت لأخي الدكتور عبد الحكيم الأنيس حين عرضت عليه الكتاب قبل طبعته الأولى فقرأه ونبَّه على أشياء مهمة ومفيدة فكتبت له على نسخة أهديتها له بعد الطبع:

يا مَن قــرأتَ كتــابي قبل طبعته

ومَـن أفاد بنصحٍ كان مسـمـوعا

والنُّصح مكـرُمــةٌ فيكم مؤصَّلةٌ

أُهدي إليك كتـابي اليومَ مطبوعا

ولا يفوتني أن أشـكر كل الذين عبروا لي عن مشـاعر طيبةٍ تجـاه الكتـاب أو قرظـوه بنشر أو شـعر، وخاصـة الدكتور محمد الأمـين محمـد مختار السـملالي الـذي قـرّظ الكتاب بعـد قراءته وكتب هذه القطعة الجميلة:

إنَّ فــنَّ التـأليـف مبنـىً ومعنىً

أبــدعَ الشـيخُ فيـه معنـىً ومبنىً

نجل « تِـمّينَ » ذو البحوث التي ما

إنْ تُضـاهى ولا تُضـارَع حُسـنـا

جـوهــرٌ صــاغه بسـبكٍ فـريدٍ

عن حِمى « الضاد » ذادَ عاباً ولحنا

يتقفّى آثـــارَه - حـيـث يخـفى
عن سوى العـارفين - فقهاً ولحَنا
رقَّ لـفـظـاً، وراق معنىً ومتـناً
كـنـشـيـدٍ بـه تُـرِجِّـع لـحَـنـا
مسـتفيضٌ إذا اقتضى الحـالُ منه
ولداعـي الإيجـاز يلحـنُ لحـنـا
طالعنْـه، فـسـوف تعلـم حـقّـاً
أنّ خـيرَ الحـديث مـا كـان لحَنا

فلـه ولغيره مـن الإخوة شـكري الجزيل، وأدعـو الله العلي القديـر أن يعلّمنـي وإياهـم مـا ينفعنـا، وأن ينفعنـا بـما علّمنا، وآخـر دعوانـا أن الحمـد لله رب العالمـين، والله المسـتعان، وهو حسـبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، وصلى اللهُ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

محمد عبد الله ابن التمين

دبي في ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ

المقدمة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾[١]، بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، وجعله شرفاً للنبي ﷺ ولقومه؛ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾[٢]، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، وسلك في تبليغ ما أُنزل إليه الأغوار والأنجاد، سيدنا محمد بن عبد الله صلَّى الله عليه و آله وصحبه وسلَّم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ الله سبحانه وتعالى شرَّف لغة العرب، فجعلها لغة كتابه المنزَّل الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾[٣]، فصارت وعاء الشرع؛ بها نطق الحبيب المبلِّغ عن الله، ومنها تُعرف أوامره ونواهيه، ولا سبيل إلى فهم هذه الملة إلا من جهتها[٤].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١، ومن العوج اللحن فيه كما سيأتي.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

(٣) سورة فصلت، من الآية: ٤٢.

(٤) موافقات الشاطبي: ٣ / ٣٧٥.

ومُمَيِّز هذا اللسان عن ألسنة العجم بخصيصة « الإعراب »؛ لأن أكثر كلام العجم مبنيٌّ على السكون وصلاً وقطعاً، ولا يتميز الفاعل من المفعول والماضي من المستقبل إلا باختلاف المقاطع.

ولمكانة اللغة العربية في هذا الدين، قام العلماء بخدمتها؛ حفظاً وتصنيفاً، وسخروا أعمارهم للذب عنها ودرء المفاسد، وبذلوا في ذلك الغالي والنفيس، فألزموا مُرتاد حياض علوم الشرع البُداءة بها؛ لأنَّ « بيان الشريعة لما كان مصدره عن لسان العرب، وكان العمل بموجبه لا يصح إلا بإحكام العلم بمقدمته؛ وجب على رُوَّام العلم وطلاب الأثر أن يجعلوا عُظم اجتهادهم واعتمادهم، وأن يصرفوا جُلَّ عنايتهم في ارتيادهم إلى علم اللغة والمعرفة بوجوهها، والوقوف على مُثُلها ورسومها » كما قال مجد الدين الفيروزابادي في خطبة قاموسه[1].

وقد اختلط هذا اللسان الكريم بغيره من الألسن، ودخل فيه ما ليس منه، فنبتت نابتة اللحن، وفسد منه ما كان فصيحاً

(١) القاموس المحيط: ١ / ٢-٣.

ناصعا، وتحولت خُضر مرابعه سوداً بلاقعا، وأصبح من يُعرب في كلامه متفاصحاً غريبا، وذو اللحن العِيِّ معروفاً حبيبا، ودخل فساد اللسان علوم الدين، حتى طال الكلام المنزل والحديث المأثور.

فكم تسمع اليوم من لحن في أذان وإقامة، وكم تبصر في التلفزيون، ويزعجك من المذياع، من ألفاظ وتراكيب خارجة عن قواعد العرب، كافرة بالخليل وسيبويه!!.

ولهذه الظاهرة جذورٌ ضاربة في القدم، وانعكاساتٌ على لغةٍ كتب الله لها الحفظ، يوم ارتبطت بكتابٍ قال فيه سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1].

وإسهاماً في حفظ لغة القرآن، وإبرازاً لوجهها الناصع، أحببت الوقوف على جذور ظاهرة اللحن وملابسات ولادتها، وما تركت من بصماتٍ في التراث الإسلامي، وبيان ما يتعلق

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

باللحـن من أحكام إن وقـع في قرآن أو حديث أو عبادة، وتأثيره في ألفـاظ العقود؛ فقمت بدراسـتها من بعديـن: فقهي ولغوي، ووزعـتُ الـكلام في ذلك بـين مبحثـين وخاتمة وهـذه المقدمة، فجاء البحث على المنهج التالي:

المبحث الأول: البعد اللغوي لظاهرة اللحن.

المطلب الأول: تحديد ماهية اللحن.

١- تعريف اللحن.

٢- الكلام على التصحيف والتحريف.

المطلب الثاني: ظهور اللحن وآثار ذلك.

١- كيف ظهر اللحن؟.

٢- تحديد بداية ظهور اللحن.

٣- آثار ظهور اللحن.

المبحث الثاني: البعد الفقهي لظاهرة اللحن.

المطلب الأول: اللحن في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

١- اللحن في القرآن.

٢- اللحن في الحديث النبوي الشريف.

المطلب الثاني: تأثير اللحن في العبادات والعقود، وغيرهما.

١- اللحن في الأذان.

٢- اللحن في القراءة في الصلاة.

٣- اللحن في الدعاء.

٤- اللحن في ألفاظ الأيمان والحدود والإقرارات والعقود.

وكانت الخاتمة خلاصةً ضُمِّنت أهم النتائج والتوصيات التي وصلت إليها أثناء البحث.

وأتمثل في نهاية هذه المقدمة قول أبي الضياء خليل بن إسحاق رحمه الله تعالى (ت: ٧٧٦هـ) في مختصره: « ... والله يَعصمنا من الزلل، ويُوفقنا في القول والعمل، ثم أعتذر لذوي الألباب، من التقصير الواقع في هذا الكتاب، وأسأل بلسان التضرع والخشوع، وخطاب التذلل والخضوع، أن يُنظر بعين الرضا والصواب، فما كان من نقص كمَّلوه، ومن خطأ أصلَحوه؛ فقلما يخلُص مصنَّفٌ من الهفوات، أو ينجو مؤلِّفٌ من العثرات »[1].

والله من وراء القصد، وهو المستعان.

❁ ❁ ❁

(١) مختصر خليل: ٩.

المبحث الأول

البعد اللغوي لظاهرة اللحن

المطلب الأول

تحديد ماهية اللحن

أولاً: تعريف اللحن.

ثانياً: الكلام على التصحيف والتحريف.

أولاً: تعريف اللحن

وردت كلمة « **اللحن** » في اللغة العربية لستة معانٍ[١]: الخطأ في الإعراب، واللغة، والغناء، والفطنة، والتعريض، والمعنى.

١ - فاللحن الذي هو الخطأ في الإعراب، يقال منه لحَن في كلامه، بفتح الحاء، يلحَن لحناً، فهو لحانٌ ولحانةٌ، وقد فُسِّر به قول مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري:

منطقٌ رائعٌ[٢] وتلحن أحيا

ناً وخيرُ الحديث ما كان لحنا

٢ - و بمعنى اللغة: كقول عمر رضي الله عنه: تعلموا الفرائض والسنن واللحن كما تتعلمون القرآن[٣]، يريد اللغة، قال الزمخشري: « تعلموا الغريب واللحن؛ لأن في ذلك

(١) لسان العرب: مادة: « لحن »، ١٢ / ٢٥٥، وما بعدها.
(٢) روي أيضاً: « منطق صائب »، وقبل هذا البيت:
وحديث ألذُّه هو مما ينعت الناعتون يُوزَن وزنا
انظر:الأغاني: ١٦/ ٤٠-٤٦،فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث:٢٣.
(٣) شعب الإيمان: ٢ / ٤٢٩.

علم غريب القرآن ومعانيه، ومعاني السنة، ومن لم يعرفه لم يعرف أكثر كتاب الله ومعانيه، ولم يعرف أكثر السنن ». وكقوله رضي الله عنه: « أُبيٌّ أقرأُنا، وإنا لنرغبُ عن كثيرٍ من لحنه »، أي: من لغته(١).

ومنه قول مجاشع الجُرمي(٢):

وما هاج هذا الشوق إلا حمامةٌ
تبكَّت على خضراء سمرٌ قيودها
صَدوحُ الضحى معروفةُ اللحن لم تزل
تقود الهوى من مُسعد ويقودها

٣- وورد « اللحن » لترجيع الصوت والغناء، شاهده قول يزيد بن النعمان:

لقد تركتْ فؤادَك مُستجَنّاً مطوَّقةٌ على فَننٍ تَغنىَّ

(١) لسان العرب: مادة: لحن، ١٢ / ٢٥٥، وفيه عن أبي عبيد: أن معنى قول عمر: (تعلموا اللحن) أي: الخطأ في الكلام لتحترزوا منه.
(٢) انظر الإنصاف للبطليوسي: ١/ ١٧٢.

يميل بها، وتركبه بلحنٍ إذا ما عنَّ للمحزون أنَّا[١]

وقول الآخر:

وهاتفين بشجوٍ، بعدما سجعتْ

وُرق الحمام بترجيعٍ وإرنانِ

باتا على غصن بانٍ في ذُرى فَنَنٍ

يُرددان لحوناً ذاتَ ألوانِ

٤- **ويرد للفطنة**: يقال منه: لحَنتُ لحناً إذا فهمته وفطِنته، فلحَن هو عني لحناً، أي: فَهِمَ وفَطِن، وفسَّرَ به ابن الأعرابي قولَ الشاعر: « وخيرُ الحديث ما كان لحنا »، رآه مضارع لحِن بالكسر[٢]،

(١) وبعدهما:

فلا يُحزنْك أيامٌ تولىَّ تذكُّرها ولا طيرٌ أرَنَّا.

(٢) قال ابن منظور (لسان العرب: ١٢ / ٢٥٧ بتصرف): « فصار تفسير اللحن في البيت على ثلاثة أوجه: الفطنة والفهم: وهو قول أبي زيد وابن الأعرابي وإن اختلفا في اللفظ، والتعريض: وهو قول ابن دريد والجوهري، والخطأ في الإعراب، أي تزيله عن جهته وتعدله عن الجهة الواضحة ».

ومنه قوله ﷺ: « لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته »[١]، أي: أفطن وأفصح[٢].

٥- وأما مجيئه للتعريض والإيماء، فمنه قول القتال الكلابي[٣]:

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا

ووَحيْتُ وحياً ليس بالمُرتابِ

ومنه قول النبي ﷺ للسعدين حين وجَّههما إلى بني قريظة: « إن أصبتماهم على العهد فأعلنا ذلك، وإن أصبتماهم على غير ذلك فالحَنا لي لحناً أعرفه، ولا تَفُتَّا في أعضاد المسلمين »[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٢ / ٩٥٢): في كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين، برقم: ٢٥٣٤، وفي (٦ / ٢٥٥٥): كتاب الحيل، باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت... الخ، برقم: ٦٥٦٦، وفي (٦ / ٢٦٢٢): كتاب الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم، برقم: ٦٧٤٨، وأخرجه مسلم، (٣ ١٣٣٧): في كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، برقم: ١٧١٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٥ / ١٥٥.

(٣) انظر: البحر المحيط: ٨ / ٧٣، والبيت في ديوانه: ص ٣٦.

(٤) إعراب القرآن للنحاس: ٤ / ١٩١، النهاية في غريب الأثر: ٤/ ٢٤١.

وأصله أن تريد الشيء وتورِّيَ عنه بآخر، من باب التعريض وفيه مندوحةٌ عن الكذب[١]، ومخرجٌ للمضطَهد على اليمين، المكْرَهِ عليها، ولهذا الغرض ألَّف أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٢٢٣هـ-٣٢١هـ) كتابه: « الملاحن »[٢].

٦-واللحن يقال للمعنى والفحوى: كقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[٣]، أي: فحواه ومعناه[٤]، وقيل: في نحوه وأسلوبه، وعن ابن عباس: هو قولهم: « ما لنا إن أطعنا من الثواب، ولا يقولون ما علينا إن عصينا من العقاب »[٥].

أما ابن فارس رحمه الله (ت:٣٩٥هـ) المولع بالاشتقاق وردِّ الكلم إلى أصوله، فيرى أنَّ: « اللام والحاء والنون: له

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١١/ ٣٠٠، أحكام القرآن لابن العربي: ٣/ ٢٦٣.
(٢) كتاب الملاحن: ٥٥.
(٣) سورة محمد، من الآية: ٣٠.
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ٤ / ٥٠.
(٥) الكشاف: ٤ / ٣٣٠.

بناءان يدل أحدهما على إمالة شيء عن جهته، ويدل الآخر على الفطنة والذكاء.

فأما **اللحْن بسكون الحاء**: فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية، يقال: لحَن لحْنا، وهذا عندنا من الكلام المولَّد، لأن اللحن محدَثٌ، لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة.

ومن هذا الباب قولهم: هو طيِّب اللحن، وهو يقرأ بالألحان؛ وذلك أنه إذا قرأ كذلك أزال الشيء عن جهته الصحيحة بالزيادة والنقصان في ترنُّمه. ومنه أيضا، اللحن: فحوى الكلام ومعناه، قال تعالى: ﴿ **وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ** ﴾، وهذا هو الكلام المُوَّرَى به، المُزال عن جهة الاستقامة والظهور.

والأصل الآخر: اللحَن، وهي الفطنة، يقال: لحِن يلحَن لحَناً وهو لحِن ولاحِنٌ، وفي الحديث: لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض »[1].

(١) مقاييس اللغة: ٥ / ٢٣٩-٢٤٠، وقد جعله غيره من باب فعل مفتوح العين، لحَن لحْناً، قال أبو العباس القرطبي: « وعلى هذا يقال فيه بمعنى =

وبهذا التأصيل ردَّ ابن فارس المعانيَّ الستة لكلمة اللحن إلى جذرين لغويين: الإمالة، والفطنة.

فاللحن إذن مَيلٌ بالكلام عن سَنَنِهِ وقصده، ولذلك المَيل صورتان:

- صورةٌ محمودةٌ مستحسنةٌ: وهي الميل بالكلام عن التصريح، « وصرفُه بمعناه إلى تعريضٍ وفحوى، وهو محمودٌ عند أكثر الأدباء من حيثُ البلاغة، وإياه قصد الشاعر بقوله: « وخير الحديث ما كان لحنا » »[1].

- وصورةٌ مذمومةٌ مستقبحةٌ: وهي صرفه عن سَننه الجاري إما بإزالة إعراب أو تصحيف[2]، وهذه الصورة هي موضوع البحث.

= الفطنة: بفتح الماضي وكسره، وفي المصدر: بفتح الحاء وإسكانها ». المفهم: ٥ / ١٥٥.

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: ٧٣٨.

(٢) المصدر نفسه.

واللحن قد يكون فاحشاً، مغيراً لقصد المتكلم، فإذا قلت: ضرب زيدْ عمرْ، بتسكين الاسمين لم يعرف الضارب من المضروب، وقد يكون طفيفاً لا يَخرِم مفهوماً ولا يهدم معنىً، ولا يفطن له إلا الماهرون، كاللحن في التجويد والأداء؛ فاللحن قسمان: لحنٌ جليٌّ ظاهرٌ، ولحنٌ خفيٌّ باطن[١].

كما يعتري اللفظَ مما يفسد هيئته أو معناه، نوعٌ خاصٌ من اللحن يعرف « بالتصحيف والتحريف »، ويكثر الاهتمام بهما في علوم الحديث[٢]، لشدة حرص الحفاظ على نقل الأحاديث كما وردت سنداً ومتناً.

❁ ❁ ❁

(١) سأتعرض بحول الله لبيان القسمين وبسط القول فيهما في مبحث البعد الفقهي، في الكلام على اللحن في القرآن والحديث.

(٢) وقد أُفردت مصنفات في التصحيف والتحريف، منها: التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن الحسن الأصبهاني (٢٨٠هـ - ٣٦٠هـ)، و لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (٢٩٣هـ - ٣٨٢هـ) كتابان: (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف)، و(تصحيفات المحدثين)، وكلها مطبوعة متداولة.

ثانياً: التصحيف والتحريف

التصحيف: أن يُقرأ الشيءُ بخلاف ما أراد كاتبه، وعلى غير ما اصطلح عليه في تسميته[١]، وأصل اشتقاقه من الصحيفة؛ وسبب ذلك « أن قوماً أخذوا العلم عن الصُّحف من غير أن يَلقوا فيه العلماء، فكان يقال عندها: قد صحفوا فيه، أي رووه عن الصُّحف، فهو مصحِّف، ومصدره التصحيف »[٢].

وعن المعري نقل السيوطي أيضاً هذا التأصيل، فذكر عنه أنَّ « أصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته في صحيفة، ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب »[٣].

لقد فُضح بالتصحيف جمعٌ من الأدباء، وعِيبَ على كثير من العلماء، ونُهي عن الحمل عنهم، وأُسقط حديثهم، وكان أهل

(١) التنبيه على حدوث التصحيف: ٢٦.
(٢) تصحيفات المحدثين: ٢٤.
(٣) المزهر في علوم اللغة: ٢ / ٣٥٣.

العلـم يتواصون: « لا تأخذوا القرآن من المُصحفيِّين، ولا العلم من الصحفيين »[١]، وينشدون:

من يأخـذ العلم عن شيخٍ مُشـافهـةً

يكن عن الزيف والتحريف في حَرَمِ

ومن يكن آخذاً للعلم عن صُحفٍ

فعلمـه عنـد أهـل العلم كالعـدم[٢]

أمـا **التحريف**: فتغيير اللفـظ دون المعنى[٣]، قال ابن حجر: « لأنَّ المخالفـة في الحديث إن كانت بتغيير حرف أو حروف مع بقـاء صورة الخط في السـياق، فإن كان ذلك بالنسـبة إلى النقط: فالمصحَّف، وإن كان بالنسبة إلى الشكل فالمحرَّف »[٤].

(١) تصحيفات المحدثين: ٦.

(٢) نسبها السخاوي للشيخ محمد بن محمد بن حسن الشِّمني (ت:٨٢١هـ) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ٩ / ٧٥.

(٣) تعريفات الجرجاني: ٥٣.

(٤) نزهة النظر شرح نخبة الفكر: ٤٧.

فالتصحيف ينتج عن تغيير النقط في الحروف المتشابهة رسماً، مثل: الباء والتاء والثاء والنون، فهذه الأحرف تتشابه شكلاً ولا يميِّزها إلا النقط، وأما التحريف فتغيير في شكل الحرف، وهو الحركة التي عليه من ضمٍ وفتحٍ وكسرٍ، مثاله: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: رُمِي أبيٌّ يوم الأحزاب على أكحله فكواه رسول الله ﷺ، صحّفه غندر وقال فيه: أبي بالإضافة، وإنما هو أبيٌّ بن كعب رضي الله عنه، وأبو جابر كان استشهد قبل ذلك بأُحد(١).

وينقسم التصحيف في الحديث إلى: تصحيف في المتن، وتصحيف في الإسناد:

- فمثال التصحيف في الإسناد: حديث شعبة عن العوام ابن مراجم عن أبي عثمان النهدي، عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: « لَتُؤدُّنَّ الحقوق إلى أهلها.... » الحديث(٢)،

(١) راجع شرح نخبة الفكر للقاري: ١ / ٤٨٩.
(٢) أخرجه مسلم (٤ / ١٩٩٧): باب تحريم الظلم، برقم: ١٩٨٧.

صحَّف فيه يحيى بن معين، فقال: « ابن مزاحم » بالزاي والحاء، وإنما هو « ابن مراجم » بالراء المهملة والجيم[١].

- ومثال التصحيف في المتن: ما نُقل عن بعض المحدثين المغفَّلين أنه قال: عن رسول الله ﷺ، عن جبريل، عن الله، عن رجل، فقال بعض الحاضرين: من هذا الرجل الذي يصلح أن يكون شيخاً لله!، سبحانه وتعالى؟! صحَّف « عزّ وجلّ.! »[٢].

وينقسم التصحيف كذلك إلى:

- تصحيفٍ في اللفظ وهو الأكثر، وتصحيفٍ في المعنى: ومثاله ما وقع للحافظ محمد بن المثنى العنزي الملقب « بالزِّمِن » (ت١٦٧هـ) رحمه الله حين قال: نحن قوم لنا شرف نحن من عنَزة، قد صلى النبي ﷺ إلينا، يريد ما رُوي: أن النبي ﷺ صلى إلى عنزة[٣]، توهم أنه صلى إلى قبيلتهم،

(١) التقييد والإيضاح: ٢ / ٨٤١.

(٢) تصحيفات المحدثين للعسكري: ١٤.

(٣) حديث أنه ﷺ رُكزت له عنزة وصلى إليها، رواه مسلم في صحيحه، في مواضع منها في كتاب الصلاة، باب سترة المصلي برقم: ٢٥٠.

وإنما العنزة ههنا حربة نُصِبت بين يديه فصلى إليها[١].

- وقد يكون سبب التصحيف سبق نظر، أي أنّ مردّه إلى البصر، كما وقع لابن لهيعة رحمه الله (ت ١٦٤ هـ) فقد روى أنّ رسول الله ﷺ احتجم في المسجد، وإنما هو بالراء « احتجر » في المسجد - بخصٍّ أو حصير - حجرةً يصلي فيها[٢]، فصحّفه ابن لهيعة لكونه أخذه من كتاب بغير سماع[٣].

- وربما صحّف راوٍ لخطأ في السمع في ما لا يشتبه كتابةً، نحو حديثٍ لعاصم الأحول رواه بعضهم فقال: عن واصل الأحدب، فذكر الدارقطني: أنه من تصحيف السمع لا من تصحيف البصر[٤].

---

(١) التقييد والإيضاح: ٢ / ٨٤٤.

(٢) متفق عليه من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله برقم: ٦١١٣، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة برقم: ٢١٣.

(٣) راجع: التمييز للإمام مسلم: ١٨٨.

(٤) المقنع في علوم الحديث لابن الملقن: ٢ / ٤٧٨.

قال العراقي رحمه الله: « وكثير من التصحيف المنقول عن الأكابر الجِلّة لهم فيه أعذارٌ لم ينقلها ناقلوه، ونسأل الله التوفيق والعصمة »[١].

فاللحن كما تبين مما سبق صرفٌ للكلام عن حالته السوية، وقد يكون ذلك الصرف بتغيير إعرابه، أو بتغيير شكل الحرف أو تغيير هيئته، أو بتغيير مخرجه أو صفته، فقد عَدَّ العلماء القراءة بغير تجويد لحناً[٢].

و اللحن كما قال ابن فارس: « لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة »[٣]، وقد ظهر وليدَ عوامل مختلفة، وترك ظهوره آثاراً بارزة في اللغة العربية خاصة، وفي العلوم الإسلامية عامة، فما هي الظروف التي ولَّدت هذه الظاهرة، و ما الذي خلَّفته من آثار؟

❁ ❁ ❁

(١) التقييد والإيضاح: ٢/ ٨٤٥.
(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ١ / ٢٦٦.
(٣) مقاييس اللغة: ٥ / ٢٣٩- ٢٤٠.

المطلب الثاني

ظهور اللحن في اللغة العربية

وآثار ذلك

أولاً: كيف ظهر اللحن؟.

ثانياً: تحديد بداية ظهور اللحن.

ثالثاً: آثار ظهور اللحن.

أولاً: كيف ظهر اللحن؟

نشأ اللسان العربي في جزيرة العرب سالماً من المخالط خالصاً لأهله، وهم في حَلِّهم وترحالهم يتناقلونه ملكةً، يأخذها الصغير عن الكبير، قال ابن خلدون: « فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودةً فيهم، يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيُلقَّنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيُلقَّنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم يتجدد في كل لحظةٍ، ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر، إلى أن يصير ملكةً وصفةً راسخةً، ويكون كأحدهم »[1].

فاللغة العربية – كغيرها من اللغات – عند ابن خلدون وظيفةٌ لسانيةٌ مكتسبةٌ بالتلقين والمحاكاة، حتى تستقر تدريجيا فتصبح ملكة.

(١) مقدمة ابن خلدون: ٣ / ١٢٧٩.

وكانت لغة قريش أفصح لغات العرب وأسلمها من شوائب العُجمة، لبُعدهم عن بلاد العجم، ثم يليهم في الفصاحة « من اكتنفهم من ثقيف، وهذيل، وخزاعة، وبني كنانة، وغطفان، وبني أسد، وبني تميم، وأما من بعُد عنهم من ربيعة، ولخم، وجذام، وغسان، وإياد، وقضاعة، وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم خالصةً من الشوائب تامة الملكة لمخالطتهم الأعاجم، وعلى قدر قربهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم »(١).

وبهذا اللسان العربي الفصيح نطق الرسول ﷺ، وبه نزل القرآن: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٢)، ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾(٣) فهذه الملة - كما قال الإمام الشاطبي - عربيةٌ، ومن

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٢٤، مقدمة ابن خلدون: ٣ / ١٢٧٩.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٢.
(٣) الشعراء، الآيات: ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥.

أراد تفهُّم القرآن « فمن جهة لسان العرب يُفهم، ولا سبيل إلى تطلُّب فهمه من غير هذه الجهة »[١].

فاللغة العربية وعاءُ العلوم الشرعية، وجاء الاعتناء بها من هذه المكانة، وقد كان في البداية نَقَلَةُ الدين من الصحابة عرباً أقحاحاً لم تشُب لسانهم عجمةٌ ولا هُجنةٌ، ولقد أنزل الله تعالى القرآن بمعهود العرب في التخاطب،وأسلوبهم وبيانهم مع إعجازه هو دون كلامهم، ففهموه وعقلوا معانيَّه، وفسر لهم رسول الله ﷺ بعض ما احتاجوا إلى تفسيره منه، شرحاً وبياناً، تقريراً وتفسيراً، تخصيصاً وتقييداً، كما تحدَّث بمسائل وأحكام لم تأت في كتاب الله تعالى، ففهموا ذلك منه ﷺ وعقلوه.

حتى إذا اتسعت الدولة الإسلامية دخل الناس في دين الله أفواجاً، مصداقاً لوعدٍ ربانيٍّ نافذ، و لما دخل في الإسلام غير العرب – لغةً وجنساً – وخفي عليهم بعض أساليب القرآن الكريم وأعاريبه، ومعاني بعض ألفاظه ومقاصدها، بدأ الفساد

(١) الموافقات: ٣ / ٣٧٥.

يدب إلى لغة العرب، وظهر اللحن والتصحيف والتحريف في القرآن والحديث، وقد قيل: إن أول لحن سُمِع بالبادية « هذه عصاتي » وإنما هي « عصاي » قال تعالى: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا﴾[١]، وأول لحن سمع بالعراق: « حيِّ على الفلاح » وإنما هو: « حيَّ على الفلاح »[٢].

واللحن ظاهرةٌ اجتماعيةٌ تتداخل في صنعها عوامل عديدةٌ، يمكن أن نبرز أهمها فيما يلي:

١- اختلاط العرب بغيرهم من الأمم والأجناس:

قال ابن الجوزي رحمه الله: « إنّ رسول الله ﷺ كان عربياً، وكذلك جمهور أصحابه وتابعيهم، فوقع في كلامهم ما كان مشهوراً بينهم، ثم وقعت مخالطة الأعاجم ففشي اللحن »[٣].

---

(١) سورة طه، من الآية: ١٨.

(٢) البيان والتبيين: ٢ / ٢١٩.

(٣) هامش: غريب الحديث: ١/ ١، ووردت فشي بالياء والصواب: فشا يفشو فشوا.

فعند تتابع الفتوح الإسلامية اتسعت رقعة دولة الإسلام، وامتد سلطانها ليشمل أمماً جديدةً من روم وفرس وغيرهما، ونزل العرب تلك البلاد المفتوحة واختلطوا بأهلها، وقد كانت ملكةُ اللسان العربي عندهم صافيةً ناصعةً، فلما فارقوا الحجاز، « وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعربين من العجم، - والسمع أبو الملكات اللسانية - ففسدت بما أُلقي إليها مما يغايرها، لجنوحها إليه باعتياد السمع »(١).

وقد انتقل أبناء هذه البلاد المفتوحة المعتنقون للإسلام إلى المدينة حاضرة الدولة الإسلامية، وكعبة المتعلمين، وإلى مكة قِبلة الصلاة ومهبط الوحي، فحصل اختلاط في بلاد العرب أسهم في تأثر اللغة العربية بعجمة هؤلاء الوافدين، فبدأ اللحن يُفسد لسان العرب في عُقر دارهم، فَيُحكى أن « عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ على قوم يسيئون الرمي فقرَّعهم، فقالوا: نحن

(١) مقدمة ابن خلدون: ٣/ ١٢٥٦.

متعلمين! فأعرض مغضَباً وقال: والله لَخطؤُكم في لسانكم أشد عليَّ من خطئكم في رميكم »[١].

٢- اشتغال غير العرب من العجم والموالي بالعلم:

لقد اشتغل العرب الفاتحون بالسياسة وإدارة الدولة عن العلم وطلبه، وولي ذلك الموالي والعجم[٢]، يقول ابن خلدون: « من الغريب الواقع أنَّ حمَلة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم، إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو عجميٌّ في لغته ومَرباهُ ومشيخته، مع أن الملة عربيةٌ، وصاحب شريعتها عربي، والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة، وإنما أحكام الشريعة هي أوامر الله ونواهيه، كان الرجال ينقلونها في صدورهم، وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة، بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه، والقوم يومئذ عرب، لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين، ولا دُفعوا إليه، ولا دعتهم إليه حاجة،

(١) معجم الأدباء: ١ / ٨٢.
(٢) مقدمة ابن خلدون: ٣ / ١٢٥٩.

وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين،... فلما بعُد النقل من لدن دولة الرشيد فما بعْد، احتيج إلى وضع التفاسير القرآنية، وتقييد الحديث مخافة ضياعه، ثم احتيج إلى معرفة الأسانيد وتعديل الناقلين للتمييز بين الصحيح من الأسانيد وما دونه، ... فصارت هذه العلوم كلها علوماً ذات ملكاتٍ محتاجة إلى التعليم، فاندرجت في جملة الصنائع؛ وقد قدمنا أن الصنائع من مُنتحل الحضر وأن العرب أبعدُ الناس عنها،... والحضر لذلك العهد هم العجم أو من في معناهم من الموالي وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبعٌ للعجم للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس »[1].

فيرى ابن خلدون أن نقل العلوم الشرعية مرَّ بمرحلتين:

أولاهما: كانت على يد عربٍ حملوا في صدورهم القرآن والحديث، عارفين بمعناهما بقوةٍ طبَعيَّةٍ، وبما تلقوه من الرسول ﷺ، دون تعاطي تعلُّمٍ، ولا تعليم.

(١) المقدمة: ٣/ ١٢٥٧-١٢٥٨، (بتصرف).

أما المرحلة الثانية: فجاءت استجابةً لـمُستجـدات وظروف اتسـاع دولة الإسـلام، وطُروِّ مسـلمين جـدد، ليسـوا من أهل لسـان الشرع؛ فأوجب ذلك تدوين العلوم وتقنينها، فأصبحت صناعـةً، أهل الحضر والعمران أعرفُ بها من أهل البدو، فغلب العجم والموالي عليها، أو من تربى وتعلم على يدهم من العرب، فالعـربي نسـباً عجمـيٌّ في لغتـه ومَرباهُ ومشـيخته، كـما قال ابن خلدون، وفي قوله: « في لغته ومَرباه »: إشارةٌ إلى تأثير العجم في تربيـة جيل ذلك العصر، وغلبة لغتهم، لكثرة الجواري وأمهات الأولاد[1].

وهـؤلاء العجـم مهـما فقهـوا في اللسـان، ورسـخوا في العلـم، لم تكـن ألسـنة بعضهم لتخلـص من منطقهـا الفطري، ولغتهـا الأم؛ لأن « الأعجمـي المتعلـم في الملـة الإسـلامية يأخـذ العلم بغير لسـانه الذي سـبق إليه، ومن غـير خطه الذي يعرف ملكته »[2].

(١) راجع فقرة: اتخاذ المربيات، الآتية ص٤١.
(٢) مقدمة ابن خلدون: ٣ / ١٢٦٣.

فهـذا يحيى بن زيـاد الفـراء (ت ٢٠٧هـ)، أجـلُّ أصحاب الكسائي، (ت ١٧٢هـ)، دخل يوماً على الرشيد، فتكلم بكلامٍ لحن فيه مراتٍ، فقال جعفر بن يحيى البرمكي: إنه قد لحن يا أمير المؤمنين!، فقال الرشـيد: أتلحن!، فقـال الفراء: يا أمير المؤمنين إن طبـاع أهل البدو الإعرابُ، وطبـاعَ أهل الحضر اللحنُ؛ فإذا تحفَّظتُ لم ألحن، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت![1].

٣- إهمال النقط والشكل في اللغة العربية:

لقـد كانت سـليقة العرب وسـلامة لغتهم تغنيـان عن نقط الحـروف وشـكلها، فلـم يعرفـوا النقـط ولا الشـكل، وحـين دخلـت الأمم الجديدة وبدأ الفسـاد يدب في اللغة، خافوا عليها من الاندثار فوضعوا النقط والتشـكيل: يُـروى أن زياد ابن أبيه بعث إلى أبي الأسـود الدؤلي رحمه الله (ت ٦٩هـ)، يقول: « يا أبا الأسـود، إن هذه الحمراء - يقصد العجم- قد كثرت وأفسدت

(١) شذرات الذهب: ٢ / ١٩، مرآة الجنان: ٢ / ٣٩.

من ألسن العرب فلو وضعت شيئاً يُصلح به الناس كلامهم، ويُعربون كتاب الله »، فأجابه بعد ممانعة[١].

٤- أصل وضع اللغة العربية:

هذا سببٌ ذاتيٌّ، في رأي حمزة بن الحسن الأصفهاني رحمه الله (٢٨٠هـ-٣٦٠هـ) فوقوع التصحيف - وهو من اللحن كما مر - في اللغة العربية؛ لأنَّ « الذي أبدع صور حروفها لم يضعها على حكمة، ولا احتاط لمن يجيء بعده، وذلك أنه وضع لخمسة أحرف صورةً واحدةً، وهي: الباء والتاء والثاء والياء والنون، وكان وجه الحكمة فيه أن يضع لكل حرفٍ صورةً مباينةً للأخرى حتى يؤمَن عليه التبديل »[٢].

وهذه الملحوظة التي أوردها الأصفهاني وإن كانت صحيحةً في ظاهرها، إلا أنها كلمة حقٍّ ربما أريد بها باطلٌ، وربما تلقفها ذو هوىً شعوبيٍّ، هدفه التنقيص من العرب ومن لغتهم،

(١) نقط المصاحف: ١/ ٣، ١٨.
(٢) التنبيه على وقوع التصحيف: ٢٧.

ولا عجب إن قالها الأصفهاني فقد رُمي بالشعوبية ومحبةِ قومه الفرس ولغتهم، قال عنه القِفطي: « كان ينسب إلى الشعوبية، وأنه يتعصب على الأمة العربية »[١]. وله كتاب « الموازنة بين العربي والعجمي » تعصب فيه للفارسية على العربية[٢].

ويمكن أن نُرجع ظهور اللحن كذلك إلى **عوامل أخرى** تؤدي عادةً إلى تطور اللغة عند كل الشعوب، منها:

- **الاختلاف في نطق الحروف من جيلٍ إلى جيلٍ ومن شعبٍ إلى شعبٍ**: (صعوبة نطق الحاء والعين عند غير العربي، مثلاً).

- **إهمال أولياء الأمور تصحيح أخطاء الأطفال اللغوية مبكراً**: مما يؤدي إلى نشوئهم على الخطأ فيصعب نقلهم عنه، كما قيل:

إن الغصون إذا قوَّمتَها اعتدلتْ

ولن تلين إذا قومتَها الخشُبُ

(١) إنباه الرواة: ١ / ٣٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ٣٧٠. الأعلام: ٣ / ٣٠٩.

- اتخاذ المربيات من العجم، وعدم مراقبة أولياء الأمور لبنيهم في أطوار التنشئة الأولى: وقد ظهرت بوادرُ تأثير ذلك في فجر الدولة الإسلامية حين كثُرت الفتوح وفاض السبي، فاتخذ الناس الخدم والجواري، وكُنَّ المربيات في البيوت، فأخذ الصغار من لغتهن، واختلط المأخوذ مع الفطريّ، ففسدت الملكة، على حين غفلةٍ من الآباء، وأكثر ما ظهر فيه ذلك أولاد الأعيان، من ملوكٍ وأمراء؛ فهذا معاوية رضي الله عنه يكتب إلى زياد يريد عبيد الله ابنه، فلما قدم عليه وكلَّمه وجده يلحن؛ فرده إلى أبيه وكتب إليه يلومه يقول له: « أمثل عبيد الله يضيع »! وقد كانت أم عبيد الله فارسية[1].

ودخل رجلٌ من أشراف قريش على الوليد بن عبد الملك يشكو ختنه (صهره)، فقال له الوليد: من ختَنَكَ؟ قال الرجل: فلانٌ اليهودي!، فقال: ويحك، ما تقول؟ قال: لعلك إنما تسأل عن ختَني يا أمير المؤمنين، هو فلان ابن فلان[2].

(١) نقط المصاحف: ١ / ٣.

(٢) العقد الفريد: ٢ / ٢٩٢، وكان عليه أن يقول: من ختَنُك.

و كان عبد الملك بن مروان يتحسر لحال الوليد هذا ويقول: أضرَّ بنا في الوليد حبُّنا له؛ فلم نلزمه البادية![1]، إذ كان الحريصون على تربية أولادهم يرسلونهم إلى البوادي، يشبون مع البدو، رعاة الشِّيح والقيْصوم، يتعلمون منهم لغتهم ناصعةً سالمةً من الشوائب.

والوليد لم يُشبه أباه في الفصاحة؛ فعبد الملك رابع أربعة قال عنهم الأصمعي: « أربعة لم يلحنوا في جدٍّ ولا هزل: الشعبي وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف وابن القِريَّة[2]، والحجاج أفصحهم »[3].

ويكفيك في وصف خطر ما وصل إليه اللحن في ذلك

(١) العقد الفريد: ٢ / ٢٩٢.

(٢) أيوب ابن القِرِّيَّةِ النَّمريُّ وهي أمه. واسم أبيه: يزيد بن قيس بن زرارة النمري، الهلالي، أعرابي، أمي، فصيح، مفوه، يضرب ببلاغته المثل، قتله الحجاج سنة ٨٤هـ، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٣٦٥، والقرية بكسر القاف وكسر الراء المشددة هي الحوصلة من الطيور، راجع لسان العرب: ٢/ ٧٨٩.

(٣) نشأة النحو: ١٧.

العصر؛ قولة الأصمعي هذه؛ حيث أصبح الذين لا يلحنون يعدون على أصابع اليد الواحدة!.

والمجتهدون في تربية أولادهم كانوا يبالغون في مراقبتهم في مختلف مراحل التعليم حتى لا تصيبَهم شائبةٌ في اللسان أو الفكر، كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يضرب ولده على اللحن[١]، وروي مثل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما[٢]، وكان المؤدبون بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، يضربون على الخطأ في العَرض واحدةً وعلى اللحن ستّاً[٣].

واليوم تلعب هيمنة اللهجات العامية الدور الأساسي في العبث بالفصحى وسَوْمها سوء العذاب، فلغة الضاد في مجالسنا اليوم مجهولةٌ منكرةٌ غريبةٌ، متكلِّمُها كعربيٍّ شِعب بُوان!![٤].

❁ ❁ ❁

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٥ ٢٤٠.
(٢) شعب الإيمان: ٢/ ٢٥٨.
(٣) فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث: ٣٤.
(٤) إشارة إلى قول المتنبي في وصف شعب بوان (ديوانه: ٢ / ٥٨٦):
ولكنَّ الفتى العربيَّ فيها غريبُ الوجه واليد واللسان

ثانياً: تحديد بداية ظهور اللحن

لقد تبين مما سبق أن استفحال ظاهرة اللحن كان مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، ودخول الأمم الجديدة في الإسلام، ولكنَّ بوادرَ أوليةً من هذه الظاهرة سبقت إلى بلاد الحجاز في العهد الأول.

قال السيوطي رحمه الله تعالى: « قال أبو الطيب: واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب، وأحوجَ إلى التعلم: الإعرابُ؛ لأنَّ اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعرِّبين من عهد النبي ﷺ، فقد روينا أن رجلاً لحن بحضرته ﷺ، فقال: أرشدوا أخاكم فقد ضل »[1].

وفي عهد الخلافة الراشدة استمر نموُّ اللحن وفشوُّه؛ فقد مرت معنا حكاية عمر رضي الله عنه مع الرماة، وقوله لهم: « والله لخطؤكم في لسانكم أشد عليَّ من خطئكم في رميكم »[2].

(١) المزهر: ٢/ ٣٩٦، ولم أقف على الحديث فيما رأيت من كتب السنة، وقد أورده غير السيوطي،انظر فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث:٣٤

(٢) معجم الأدباء: ١ / ٨٢.

وقال أبو بكر رضي الله عنه: « لأن أقرأ فأسقِط أحب إلي من أن أقرأ فألحن »[١].

وقال أبو الأسود الدُّؤلي: « دخلتُ على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فرأيته مطرِقاً مفكِّراً؛ فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ فقال: سمعت ببلدكم لحناً، فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية »[٢].

وفي العصر الأموي قويت ظاهرة اللحن وسرَتْ من العامة إلى الخاصة، لتبلغ أوجها في الدولة العباسية في خلافة الرشيد، فيحمِله خطر ما يرى من فساد الألسن إلى أن يخاطب بنيه قائلاً: « ما ضَرَّ أحدَكم لو تعلم من العربية ما يُصلح لسانه؟ أيَسُرُّ أحدَكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو أَمَته؟! »[٣].

❁ ❁ ❁

(١) المزهر: ٢ / ٣٩٦.
(٢) إنباه الرواة: ١ / ٣٩.
(٣) اللغة ودراستها: ٨٠.

ثالثاً: آثار ظهور اللحن

حين فشا اللحن وقويت شوكته،كان لا بد من مقاومته وصيانة هذه اللغة الكريمة وحماية القرآن والحديث من هذا الخطر، فانبرى العلماء يتفننون فيما يطرد الدخيل ويمنع الجديد، ويحفظ القرآن والحديث من التغيير والتحريف، فالله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ القرآن: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1]، واللغة العربية لغةُ القرآن؛ فلن تَعدِم أن يصيبها شيءٌ من ذلك الحفظ، ولذلك كان الاعتناء بها، ولعل هذا الملمح هو الذي دفع الخليفة الفاروق إلى أن يكتب إلى أبي موسى الأشعري يأمره في كاتبه، يوم أرسل إليه كتاباً فيه لحنٌ: « إذا أتاك كتابي هذا فاجلده سوطاً واعزله من عملك! »[2].

فالخطأ في اللغة سوءُ أدبٍ يستحق التعزير من الإمام، قال الطوفي رحمه الله (ت٧١٦هـ): « وهذا تعزير منه لمن فعل ذلك،

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية:٣١٩.

ولا يكون التعزير إلا على ترك واجب، قلت: هذا قد قيل، والأَولى أن هذا ضرب تأديب على فعل مكروه »[١] .

وكان التابعيُّ أيوب السختياني (٦٦هـ - ١٣١هـ) الثقة الناسك رضي الله عنه، إذا لحن قال: أستغفر الله[٢].

ومجهود العلماء في محاربة اللحن كان له منْحيان: علاجيٌّ ووقائيٌّ، فأثمر على أرض الواقع ما يلي:

١-نقط القرآن وشكله:

سمع أبو الأسود الدؤلي قارئاً يقرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[٣] ويكسر « رسوله » فقال: معاذ الله أن يتبرأ الله من رسوله، وقيل إنه قال: ما ظننتُ أمر الناس آلَ إلى هذا! ثم طلب كاتباً، وقال له: إذا رأيتني فتحتُ فمي بالحرف فانقُط نقطةً فوقه على أعلاه، وإن ضممتُ

(١) الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية: ٣٢٠.
(٢) تنبيه الألباب على فضائل الإعراب:٨٦.
(٣) سورة التوبة، من الآية: ٣.

فمي فانقُط نقطةً بين يدي الحرف، وإن كسرتُ فاجعل نقطةً من تحت الحرف، وإن مكَّنتُ الكلمة بالتنوين فاجعل أمارة ذلك نقطتين »[١].

وقال الأصفهاني: « وأما سبب إحداث النقط فإن المصاحف الخمسة التي استكتبها عثمان رضي الله عنه، وفرَّقها على الأمصار، غَبَرَ الناس يقرؤون فيها نيفاً وأربعين سنة، وذلك من زمان عثمان إلى أيام عبد الملك، فكثر التصحيف على ألسنتهم، وذلك أنه لما كانت الباء، والتاء، والثاء، أشباهاً في الاتصال والانفصال، وكانت الياء والنون يحكيانها في الاتصال، تمكَّن التصحيف في الكتابة تمكُّناً تامّاً، فلما انتشر التصحيف بالعراق، فزع الحجاج إلى كُتابه، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات »[٢].

لقد مرت عملية نقط المصحف إذن بمرحلتين:

(١) إنباه الرواة: ١ / ٤٠.
(٢) التنبيه على حدوث التصحيف: ٢٧.

- أولاهما ما قام به أبو الأسود الدؤلي، وانصبَّ على تمييز الحركات بالنقط، وهو مخترع ذلك، قال السيوطي: « وأبو الأسود أول من نقط المصحف »[١].

- ثم زاد نصر بن عاصم (ت ٨٩هـ) على ما استحدث أبو الأسود نقط الإعجام: وهو وضع النقط على الحروف المتشابهة للتفريق فيما بينها[٢].

ولئن قوبل نقط المصحف بشيء من الرفض في بداية الأمر، إلا أن الكلمة اجتمعت بعد ذلك على التنويه به، لدفع ما يخاف من الخطأ والتغيير، قال النووي: « نقط المصحف وشكله مستحب؛ لأنه صيانة له من اللحن والتحريف »[٣].

٢- استنباط قواعد لحفظ اللسان وإعراب الكلام:

اللغة عبارة المتكلم عن مقصوده، وترجمة لما يُجنه بين

(١) المزهر: ٢ / ٣٩٨.
(٢) رسم المصحف، إحصاء ودراسة: ٢٣٣.
(٣) التبيان: ١ / ٩٧، المجموع: ٢ ٨٩، الإتقان: ٢ / ٤٥٦.

ضلوعه، كما قال الأخطل[١]:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما

جُعل اللسان على الفؤاد دليلا

وهي وظيفة اللسان وفعله، « وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات، وأوضحها إبانةً عن المقاصد، لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني، مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور أعني المضاف، ومثل الحروف التي تُفضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى، وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب، وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة،... فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيئات - أي الأوضاع - اعتبارٌ في الدلالة على المقصود، غير متكلِّفين فيه لصناعةٍ يستفيدون

(١) نسبه كثيرون للأخطل، منهم: الجاحظ في البيان والتبيين: ١/ ٢١٨، التفتازاني في شرح المقاصد في علم العقائد: ٢/ ١٠٢، وابن هشام في شرح شذور الذهب: ١/ ٣٥، وأورده فخر الدين قباوة في ذيل ديوان الأخطل: ٥٦٠.

ذلك منها، إنما هي ملكةٌ في ألسنتهم، يأخذها الآخِر عن الأول، كما تأخذ صبيانُنا لهذا العهد لغاتِنا »[١].

وحين خاف الغيورون على اللغة والدين أن تفسد هذه الملكة، بعد فشو اللحن، للأسباب التي قدَّمنا، فيصعب فهمُ القرآن والحديث، استخرجوا من كلام العرب قواعد وكليات، « يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويُلحقون الأشباه منها بالأشباه، مثل أن الفاعل مرفوعٌ، والمفعول منصوبٌ، والمبتدأ مرفوعٌ، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً »[٢].

وتجمع الروايات المستفيضة على اقتران وضع النحو باللحن، وأول من كتب فيه على الراجح أبو الأسود الدؤلي بإشارة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(١) مقدمة ابن خلدون: ٣/ ١٢٥٦.
(٢) مقدمة ابن خلدون:٣/ ١٢٦٦.

قال أبو الأسود رضي الله عنه: « دخلت على علي بن أبي طالب فرأيته مطرقاً متفكراً، فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية. فقلت: إذا فعلت هذا أحييتنا، وبقيتْ فينا هذه اللغة، ثم أتيته بعد ثلاث، فألقى إلي صحيفةً فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله: اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ، فالاسم: ما أنبأ عن المسمى، والفعل: ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف: ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل، ثم قال لي: تتَبَّعه، وزد فيه ما وقع لك، واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهرٌ، ومضمرٌ، وشيءٌ ليس بظاهرٍ ولا مضمرٍ، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر.

قال أبو الأسود: فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها: أنَّ، وإنَّ، وليت، ولعل، وكأنَّ، ولم أذكر لكنَّ، فقال لي: لم تركتَها؟ فقلت: لم أحسبها منها، فقال: بلى هي منها، فزاد لي فيها »[1].

(١) كنز العمال: ١٠ / ٢٨٥-٢٨٦، وفيه قصة أخرى: أن أعرابياً جاء إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين كيف تقرأ هذا الحرف: =

وكان وضعه ونشوؤه بالعراق؛ لأنه على حدود البادية، ومُلتقى العرب وغيرهم، وهو أول بلد انتشر فيه وباء اللحن، ففيه وُضِع، وفيه صُنِّفت كتبه في أطواره المختلفة، واشتهرت حاضرتاه: الكوفة والبصرة بالهيمنة في النحو والرِّيادة فيه[١].

٣- جمع مفردات اللغة وحصرها في دواوين:

استمرت مخالطة العرب للعجم وملابستهم لهم، فطالت العجمة أواخر الكلمات بالفساد، فوضع النحو لميْز الإعراب وبيانه، « حتى تأدى[٢] الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستعمِل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم، ميْلاً مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية، فاحتيج إلى

= « لا يأكله إلا الخاطُون »، كُلٌّ والله يخطو!، فتبسم علي وقال: « لا يأكله إلا الخاطئون »، قال: صدقتَ يا أمير المؤمنين، ما كان الله ليُسلم عبده، ثم التفت عليٌّ إلى أبي الأسود الدؤلي فقال: إن الأعاجم قد دخلت في الدين كافةً فضع للناس شيئاً يستدلون به على صلاح ألسنتهم، فرسم له الرفع والنصب والخفض.

(١) الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية:٢٢٧، وما بعدها.

(٢) كذا في الأصل.

حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين، خشية الدروس، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث »[١].

فشمَّر الخبراء والمهرة بهذا الشأن عن سواعدهم، ونُظِّمت الرحلات إلى البادية لجمع اللغة النقية من أفواه البدو، وكان أول من ألف في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، وطفق العلماء يؤلفون من بعده على اختلاف مذاهبهم وطرقهم في التصنيف وتنوع مشاربهم[٢].

٤- احتواء ظاهرة اللحن بجمع ما وقع فيه من الكلمات والتراكيب في مؤلفات خاصة:

سعى العلماء بعد أن استشرى فساد اللغة إلى تنقيتها مما يشوبها وتقويمها بالفصيح من الكلام، من خلال الشواهد الشعرية والنثرية والأمثال والحِكم، فجمعوا ما وقع فيه اللحن من العبارات والكلمات في كتب، مبينين الخطأ ووجه الصواب.

(١) مقدمة ابن خلدون: ٣/ ١٢٦٨.
(٢) نشأة النحو، وتاريخ أشهر النحاة:٧٨.

وكانت باكورة هذه المؤلفات: ما تلحن فيه العامة، لعلي بن حمزة الكسائي ثم قويت مقاومة اللحن، وتوالت المصنفات، ونذكر منها[1]:

- ما تلحن فيه العامة: ليحيى بن زياد الفراء.

- ما يلحن فيه العامة: لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ).

- ما يلحن فيه العامة: لبكر بن محمد المازني (ت٢٤٨هـ).

- لحن العامة: لسهل بن محمد السجستاني (ت٢٥٥هـ).

وهناك مؤلفات أخرى يضيق المقام عن ذكرها، كما أنَّ هناك من خص التأليف بجماعة معينة، مثل:

- إصلاح المنطق: لابن السكيت، يعقوب بن إسحاق (٢٤٤هـ)، مطبوع.

(١) انظر مقدمة محقق كتاب: فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث: ١٠.

- أدب الكاتب: لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، مطبوع.

- التنبيه على حدوث التصحيف: لحمزة بن الحسن الأصفهاني (ت ٣٦٠هـ)، مطبوع.

- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، وتصحيفات المحدثين: كتابان لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٨٢هـ)، وهما مطبوعان.

وظهرت في العصر الحديث مؤلفاتٌ كثيرة، اعتنت بتتبع أخطاء الكُتّاب والمذيعين والعامة، وبينوا الصحيح الفصيح من غيره، كما أن مجامع اللغة العربية تسهر على حماية اللغة، وتكييفها مع مستجدات الحضارة والتكنولوجيا.

وختاماً لهذا المطلب، أشير إلى نكتةٍ طريفة: أن اللحن له مِنَّةٌ كبيرة على الأمة إذ كان سبباً في بروز عالمين جليلين هما: الكسائي وسيبويه!:

- **فقد جلس الكسائي** يوماً إلى جماعة وقد تعب من المشي، فقال: عيَّيْت!، فضجروا وقالوا: تجالسنا وأنت تلحن!، إذا أردت التعب فقل أعييْت، و إذا أردت انقطاع الحيلة فقل: عِييت!، فوقعت هذه الكلمة منه موقعاً كبيراً ودفعته أنَفتُه إلى تعلم النحو حتى نبغ فيه وبزَّ غيره(١).

- **أما سيبويه**، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٨ هـ)، فكان أول أمره راغباً في الحديث والفقه متصلاً بشيوخهما، حتى كان يوماً عند شيخه حماد بن سلمة البصري (ت١٦٧ هـ)، فاستملاه قوله ﷺ: « ليس من أصحابي أحدٌ إلا لو شئت لأخذت عليه، ليس أبا الدرداء »(٢)، فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء!، فصاح به حماد: لحنت يا سيبويه، إنما هذا استثناء، فقال سيبويه: والله

(١) تاريخ بغداد: ١١ / ٤٠٤، وانظر مقالا لي في نشرة: صدى الدار، عدد: ١٩، بعنوان: أخذ العبر ممن تعلم وساد بعد الكبر.
(٢) لم أهتد إلى مكانه في كتب السنة، على كثرة وروده في الكتب، خاصة مع ما جرى لسيبويه.

لأطلُبـنَّ علـماً لا يُلحِّنني معـه أحـد[1]، ولـزم الخليـل فتضلع مـن علمه وعلا كعبُـه، وترك للنـاس « الكتاب » الذي أكسـبه فَخار الأبد.

وحكـى بعضهـم في سـبب اشـتغال سـيبويه بالنحـو قصةً أخرى، أنّ سـيبويه شـكا إلى الخليل بن أحمد أنه سـأل أبا أسـامة حمـاد بـن سـلمة عن حديث هشـام بن عـروة عن أبيـه في رجل رعُـف – بضـم العين على لغة ضعيفة – فانتهـره حماد، وقال له: أخطـأت، إنما هـو رعَف – بفتحهـا – فقال لـه الخليل: صدق، أتلقى بهذا الكلام أبا أسامة؟.

ومن طريـف الاتفاقات أنّ هـذه اللفظة كانت سـبباً لتعلم الإمام ثابت البُناني أحد التابعين من شيوخ حماد هذا للنحو، فقد سأل ثابت البُناني الحسن البصري فقال: يا أبا سعيد، ما تقول في

(١) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وأدب السامع: ٦٧، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٣ / ٥٥٧، فيض القدير: ٦ / ٤٦٣.

رعُف ؟ فقال: وما رعُف ؟ أتعجز أن تقول: رعَف؟، فاستحى ثابتٌ وطلب العربية حتى قيل له من انهماكه فيها: ثابت العربي.

وكذا كان سبب اشتغال أبي زيد النحوي به لفظةٌ، فإنه دخل على جعفر بن سليمان فقال له: ادْنُه، فقال: أنا دني. فقال: يا بني، لا تقل: أنا دني، ولكن قل: أنا دانٍ.

لفظةٌ واحدةٌ يجر تصحيحها إلى تصحيح ألفاظٍ والتمكن في اللفظ، فتأمّل - وفقني الله وإياك - أثر هذه الكلمات وكيف أخرجت للأمّة أمثال الكسائي وسيبويه، واعتبر بذلك، فرُبّ كلمةٍ نافعةٍ غيرت حياة رجالٍ، وأفادت أمّة![1].

❁ ❁ ❁

(١) تناول أخونا الدكتور عبد الحكيم الأنيس حفظه الله جانباً من أثر الكلمة، في افتتاحية العدد الخامس من مجلة الأحمدية، بتاريخ: محرم ١٤٢١/ ابريل ٢٠٠٠، فليراجع.

المبحث الثاني

البعد الفقهي لظاهرة اللحن

المطلب الأول

اللحن في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

أولاً: اللحن في القرآن.

ثانياً: اللحن في الحديث النبوي الشريف.

أولاً: اللحن في القرآن

قال أبو بكر بن الأنباري رحمه الله تعالى: « جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه وتابعيهم رضوان الله عليهم، من تفضيل إعراب القرآن والحض على تعليمه، وذم اللحن وكراهيته، ما وجب به على قراء القرآن أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلمه »(١).

- فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه »(٢).

- وقال أبو بكر رضي الله عنه: « لأن أعرب آية أحب إلي من أن أحفظ آية »(٣).

- وقال عمر رضي الله عنه: « تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل والمروءة »(٤)، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: « أنْ مُر

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١ / ٢٣.
(٢) أخرجه في المستدرك: ٢/ ٤٧٧، قال الحاكم: صحيح عند جماعة، وتعقبه الذهبي فقال: مجمع على ضعفه، وتبعه العراقي. انظر فيض القدير: ١/ ٥٥٨.
(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد: ٢٠٨.
(٤) الفاضل للمبرد: ٤.

مـن قِبَلك بتعلم العربية فإنها تدل عـلى صواب الكلام، ومُرهم برواية الشعر فإنها تدل على معالي الأخلاق »، ومَرَّ رضي الله عنه على قومٍ يُقرئ بعضهم بعضـاً، فقال: « اقرؤوا ولا تلحنوا »[١]، وقـال: « تعلمـوا الفرائـض واللحـن كـما تتعلمـون القـرآن »، وحـدث يزيـد بن هارون بهـذا الأثر، فقيل له: مـا اللحن؟ قال: النحو[٢]، ذلك لما يتفادى به المرء من زلل اللسان وخطله.

- وروي عـن ابن مسـعود رضي الله عنه أنـه قال: « جوِّدوا القـرآن وزيِّنوه بأحسـن الأصـوات، وأعربوه فإنـه عربي، والله يحب أن يعرب »[٣].

- وقـال بعض الصحابة: « لو أعلم أني إذا سـافرت أربعين ليلة أُعرب آية من كتاب الله تعالى لفعلت »[٤].

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء: ١٩-٢٠.
(٢) غريـب الحديـث لابـن قتيبـة: ٢ / ٦١-٤١٨، وانظر ما سـبق في المطلب الأول من المبحث الأول.
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١ / ٢٣.
(٤) الإتقان: ٢ / ١٧٥، ولم يسمِّ القائل.

- أما ما نُقل عن التابعين رضي الله عنهم من ذم اللحن في القرآن، والتأكيد على إعرابه وتجويده فكثير، نقتصر منه على قول الحسن البصري رضي الله عنه (٢١ - ١١٠هـ): « من لحن في القرآن فقد كذب على الله »[١]، وكفاك بهذا تخويفاً من اللحن، مهما كان سببه، وزجراً عنه، إن كان يُدخل في وعيد الكاذب على الله سبحانه، ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾[٢].

والله سبحانه وتعالى أنزل الكتاب ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾[٣]، « والعوج هو النقص وعدم الاستقامة، واللحن فيه: نقصٌ، فمن لحن فيه فقد قرأه على عوج »[٤].

(١) تنبيه الألباب على فضائل الإعراب: ٩٠.
(٢) سورة يونس، الآية: ٦٩.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٨.
(٤) الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية: ٢٣٧، وانظر: المحرر الوجيز (ص ١٦١٦): نقل عن بكر بن عبد الله المزني، قوله: « غير ذي عوج » غير ذي لحن.

اللحـن في القرآن قـد يكون في الألفاظ؛ مـن جهة اللغة أو الإعراب، وقد يكون لعدم إعطاء الحروف ما تستحق وإخراجها مـن غـير مخارجها، أي عدم تجويـد قراءته، فالقـراءة بغير تجويد لحنٌ[١]، و صاحبها تخُشى عليه العقوبة فكيف ينتظر المثوبة، قال ابن الجزري رحمه الله، (٧٥١- ٨٣٣هـ):

والأخذ بالتجويد أمرٌ لازمُ مـن لم يجـوِّد القـرآن آثمُ[٢]

والأمة كما أنها « متعبدة بفهم معاني القرآن، وإقامة حدوده، متعبـدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه، عـلى الصفة المتلقاة عـن أئمة القراءة، المتصلـة بالحضرة النبويـة الأفصحية العربية، التي لا تجوز مخالفتها، ولا العدول عنها إلى غيرها.

والناس في ذلك بين محسن مأجور، ومسيء آثم، أو معذور، فمن قدر عـلى تصحيح كلام الله تعالى باللفـظ الصحيح العربي الفصيح، وعدل إلى اللفظ الفاسـد العجمي، أو النبطي القبيح، اسـتغناءً بنفسه، واستبداداً برأيه وحدسـه، واتكالاً على ما ألِف

(١) الإتقان في علوم القرآن: ١/ ٢٦٦.
(٢) الجواهر المضية على المقدمة الجزرية: ١٤٩.

من حفظه، واستكباراً عن عالم يوقفه على صحيح لفظه: فإنه مقصِّرٌ بلا شك، وآثمٌ بلا ريب، وغاشٌّ بلا مرية، أما مَن كان لا يطاوعه لسان، أو لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه، فإنّ الله لا يكلف نفساً إلا وسعها »[١].

وأهل هذا الفن قسَّموا اللحن في القرآن إلى:

- لحنٍ جليٍّ: تغيير يُخل باللفظ إخلالاً ظاهراً، يشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم، وهو الخطأ في الإعراب.

- وخفيٍّ: وهو الخلل في الأداء، لا يفطن له إلا المهرة بالقرآن الذين أخذوه من أفواه الشيوخ، وضبطوه بالنقل المتصل بالسند[٢].

فلا يجوز اللحن في القرآن، جليّاً كان أو خفيّاً، وقد يُعذر اللاحن إن كان خطؤه لعيبٍ خَلْقي في النطق، أو لم يجد معلماً، أو لم يقبل التعليم، أما تعمُّد اللحن في القرآن والتغيير فيه؛ فكفرٌ بإجماع الأمة، قال القاضي عياض

(١) النشر في القراءات العشر: ١/ ٢٩٩-٣٠٠.
(٢) الإتقان في علوم القرآن: ١ / ٢٦٦.:

رحمه الله (٤٩٦هـ- ٥٤٤هـ) « ...وأنَّ من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك، أو بدَّله بحرفٍ آخر مكانه، أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه، وأجمع على أنه ليس من القرآن، عامداً لكل هذا أنه كافر »[١].

ولعل هذا التغيير المتعمَّد هو الذي قصده الحسن البصري بقوله السابق: « من لحن في القرآن فقد كذب على الله ».

وقد يقع التغيير لكتاب الله سبحانه وتعالى بقصد السخرية والتهويش على العامة، ويكون ذلك من أعداء الدين من الشعوبيين والمستشرقين، الذين يتفننون في أذى المسلمين، ودس الشُّبه في دينهم، فينبغي التصدي لهم بحزمٍ وقوة، خوفاً من عموم العقوبة؛ فقد كان بإشبيلية شاعرٌ يهوديٌّ اسمه إبراهيم بن سهل، يتعمد تضمين القرآن محرَّفاً في شعره، فلم يُنكر عليه أحد، فكان ذلك سبباً في سقوط إشبيلية بيد الكفار[٢]، عوذاً بالله.

❁ ❁ ❁

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢ / ٣٠٥، الإنصاف للمرداوي: ٢/ ٢٧٠.

(٢) فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث: ٣٨.

ثانياً: اللحن في الحديث النبوي الشريف

القول في اللحن في الحديث يشمل: تبيين أقسامه، وحكم كل قسمٍ، وحكم رواية الحديث الملحون، وإصلاح لحنه.

ينقسم اللحن الواقع في الحديث قسمين:

١- أن تجيء الرواية ملحونةً تحمَّلها الراوي كذلك، ونُقلت على ذلك الوجه، وقد يكون الخطأ في السند، أو في المتن، مغيراً للمعنى أو لا، وهذا القسم موجودٌ بكثرةٍ في دواوين السنة المشهورة[١]:

أ- فأما ما كان منه مغيِّراً للمعنى مُخِلّاً بالقصد، فلا تجوز الرواية له اتفاقاً، ويُصلَح جزماً[٢]، قال الرامهرمزي رحمه الله (٢٦٠هـ-٣٦٠هـ): « لأنَّ من اللحن ما يزيل المعنى، ويغيره عن طريق حكمه، وكثير من رواة الحديث لا يضبطون الإعراب، ولا يحسنونه، وربما حرَّفوا الكلام عن وجهه، ووضعوا الخطاب

(١) فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث: ٢٦.
(٢) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: ٣/ ١٥٦.

في غير موضعه، ... ألا ترى أن المحدِّث إذا قال: لا يؤم المسافرَ المقيمُ، فنصب المسافر ورفع المقيم، ... يكون قد أحال، (أي: المعنى) »[١].

ب- وأمَّا ما وقع في الحديث من لحنٍ أو تصحيفٍ، غير مخل بالمعنى، فاختلف العلماء فيه:

- القول الأول: يُروى ذلك اللفظ كما جاء ولا يُصلح، قال به غير واحد من التابعين، فكانوا يروون ألفاظ شيوخهم، حتى في اللحن، قال ابن الصلاح: « وهذا غلوٌّ في مذهب اتِّباع اللفظ، والمنع من الرواية بالمعنى »[٢].

- الثاني: تترك رواية ذلك اللفظ عن ذلك الشيخ، « لأنه إن تبعه فيه: فالنبي ﷺ لم يكن يلحن، وإن رواه على الصواب: فهو لم يسمعه منه كذلك »[٣]، وهذا القول نقله ابن دقيق العيد

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: ٥٢٧ (بتصرف).
(٢) مقدمة علوم الحديث: ١٩٥.
(٣) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث:٣/ ١٥٥.

عن شيخه سلطان العلماء العز بن عبد السلام[١]، وقاسه بعض العلماء على من وُكِّل في بيع فاسد، فلا يقوم بذلك البيع فاسداً؛ لأن الشرع حرمه، ولا صحيحاً؛ لأنه لم يُوكَّل فيه[٢].

- الثالث: يُصلِح اللحن، ويَقرَأ الصواب من أول وهلة، قال الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ): « إن الذي نذهب إليه رواية الحديث على الصواب وترك اللحن فيه، وإن كان قد سُمع ملحوناً »[٣]، قال الحافظ العراقي في ألفيته[٤]:

وإن أتى في الأصل لحنٌ أو خطا

فقيل يُروى كيف جاء غلطا

ومذهب المحصِّلين يُصلَحُ

ويُقرأ الصواب وهو الأرجح

(١) الاقتراح: ٢٩٤.
(٢) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: ٣/ ١٥٥.
(٣) الجامع: ٢ / ٢٣.
(٤) فتح المغيث: ٣/ ١٤٤-١٤٥.

في اللـحـن لا يختلف المعنى بـه

.....

٢- أن تكـون الروايـة جـاءت عـلى قاعـدة لسـان العـرب صحيحـةً، فيخطـئ فيهـا القـارئ، وهـذا القسـم هـو المقصود هنـا، وقـد عمـت بـه البلـوى، لفسـاد الملـكات وعـدم الإلمـام بعلوم العربية.

وقـد حـذر العلـماء مـن اللحـن في الحديـث، وبلـغ الأمـر ببعضهـم أن خاف عـلى اللاحن من الدخـول في وعيد الكذب عليـه ﷺ، قـال الأصمعي: « إن أخـوف ما أخـاف على طالب العلـم - إذا لم يعـرف النحو - أن يدخل في جملة قوله ﷺ: « من كـذب عليَّ .. الحديث »[1]، لأنه لم يكن يلحن، فمهما روَيتَ عنه ولحنتَ فيه فقد كذبت عليه »[2].

(١) حديـث: « من كذب عـلي متعمدا فليتبوأ مقعده من النـار »، متواتر متفق عليـه، أخرجـه البخاري في العلم، باب إثم مـن كذب على النبي ﷺ، ولم يذكـر كلمـة (متعمـدا) من روايـة الزبـير، وفي غيره، ومسـلم: في مقدمة صحيحه، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ.

(٢) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع: ١٨٤

قال الحافظ العراقي في ألفيته:

وليحذر اللحان والمصحِّفا عـلى حـديثـه بـأن يحـرِّفـا

فيدخـلا في قولـه من كذبا فحـقٌّ النحو على من طلبا

قـال السـخاوي شـارحاً: « (وليحـذر) الشـيخُ الطالـبَ (اللحان) بصيغة المبالغة: أي الكثير اللحن في ألفاظ النبوة، (و) كذا ليحذر (المصحِّفا) فيها، وفي أسماء الرواة، ولو كان لا يلحن (عـلى حديثـه بـأن يُحرِّفـا) أي خـوف التحريـف في حركاته، أو ضبطه، من كلٍّ منهما في الحال والمآل (فيدخُلا) أي الشيخ، وكذا الطالب من باب أولى (في) جملة (قوله) ﷺ: (من كذبا) أي كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار؛ لأنه ﷺ لم يكن يلحن، قال النضر بن شـميل: جاءت هـذه الأحاديث على الأصـل مُعربةً، ويتأكد الوعيد مع اختلال المعنى في اللحن، والتصحيف »[1].

وظاهـر كلام الأئمـة إدخالهـم الجاهل في الوعيد وتسـويته بالعامـد، وهذا شـطر خلافٍ في مسـألة: هل الجاهـل كالعامد،

(١) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: ٣/ ١٤٣.

أم لا؟، لكن رواية البخاري للحديث التي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه، لم تشتمل على لفظ « متعمدا » فتكون مستندا لمن حكم بإثم الجاهل اللاحن في حديث المصطفى ﷺ، ودخوله في هذا الوعيد المخيف، زجراً عن تغيير ما جاء عنه ﷺ، وحضّاً على طلب العلم والتحرز في الرواية.

ويجدر بنا بهذه المناسبة أن نبين أن العلماء نصوا على وجوب تعلم النحو على طالب العلم، وكذا اللغة حتى يسلم لسانه، وينجو من الوعيد، وقد صرح بالوجوب عز الدين ابن عبد السلام، حيث قال: « البدعة خمسة أقسام: فالواجبة كالاشتغال بالنحو الذي يفهم به كلام الله وكلام رسوله، ﷺ؛ لأن حفظ الشريعة واجب، لا يتأتى إلا بذلك، فيكون في مقدمة الواجب، ولذا قال الشعبي: « النحو في العلم كالملح في الطعام، لا يستغني شيء عنه » »[1].

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: ٢ / ١٧٣.

وقد روى البيهقي عن شعبة أنه قال: « إذا كان المحدث لا يعرف النحو فهو كالحمار تكون على رأسه مخلاةٌ ليس فيها شعير »[١]، ونظم ذلك جعفر السراج (ت٥٠٠هـ)، بقوله[٢]:

مَثَلُ الطالبِ الحديث ولا يُحـ
ـسِنُ نحواً ولا له آلاتُ
كحمارٍ قد علِّقت - ليس فيها
من شعيرٍ - برأسه مِخلاةُ

وقال الخطيب البغدادي: « إنه ينبغي للمحدث أن يتقي اللحن في روايته، ولن يقدر على ذلك إلا بعد درسه النحو ومطالعته علم العربية »، ونقل قول الإمام أحمد: « ليس يتقي من لا يدري ما يتقي »[٣].

(١) شعب الإيمان، للبيهقي: ٢ / ٢٦٠، رقم: ١٦٨٩.
(٢) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: ٣ / ١٥١.
(٣) الجامع: ٢/ ٢٤.

والقدر الذي يطلبون تعلمه من النحو ما يكون به إصلاح اللسان، وأمنه من تحريف الكلام عن مواضعه، و لا يشتغلون بما وراء ذلك من عويصات القواعد، ومشكلات الخلاف، قال ابن فارس اللغوي المشهور: « إن غاية علم النحو وعلم ما يحتاج إليه منه: أن يقرأ فلا يلحن، ويكتب فلا يلحن، فأما ما وراء ذلك فمَشغَلةٌ عن العلم وعن كل خير »[1].

ولعل هذا هو السببَ في عدم اشتغال بعض علماء الحديث المتقدمين بالنحو، وورود اللحن عن بعضهم، حتى نُقل عن النسائي قوله: « لا يعاب اللحن على المحدثين، وقد كان إسماعيل بن أبي خالد يلحن، وسفيان، وذكر ثالثا، وغيرهم من المحدثين »[2].

❁ ❁ ❁

(١) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: ٣ / ١٤٧.
(٢) الكفاية في علم الرواية: ١ / ١٨٧.

المطلب الثاني

تأثير اللحن في العبادات والعقود، وغيرهما

أولاً: اللحن في الأذان.

ثانياً: اللحن في القراءة في الصلاة.

ثالثاً: اللحن في الدعاء.

رابعاً: اللحن في ألفاظ الأيمان والحدود والإقرارات والعقود.

تمهيد

لما كان اللحن في الكلام يخرج به عن صورته، ويصرفه عن المراد منه، كان لابد أن يؤثِّر في ما يقع فيه من عبادات، وعقود معاملات، وقد يوقِعه لحنه في النطق بالكفر وهو لا يدري؛ انظر إلى قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ ليس بين الإيمان والكفر فيه غير فتح واو « المصور » وكسرها، وكذلك قوله تعالى ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾، ولو أن رجلين تقدما إلى حاكم يدعي أحدهما على صاحبه ثوباً، فقرره الحاكم، فإنه إن قال: ما أخذت له ثوبٌ، فرفع أقر[1].

وقد يؤدي صرف الكلام عن سَننه بلحن أو تصحيف إلى استنباط أحكام مبنية على الخطأ، عارية من الصحة؛ قال الزركشي رحمه الله: « وقع لابن حزم في هذا الحديث (نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه أو يستقبل القبلة) وهمان: أحدهما أنه صحَّفه،

(١) لأن « ما » هنا موصولية بمعنى الذي، ليست نافية، انظر الإنصاف للبطليوسي: ١/ ١٧٢ .

وبنى على ذلك التصحيف حكماً شرعيّاً، فقال: لا يجزئ أحداً أن يستنجي مستقبل القبلة في بناء كان أو غيره، ثم ساق الحديث بلفظ: « نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه أو مستقبل القبلة » هكذا قال: أو مستقبل بالميم في أوله، وإنما المحفوظ: ويستقبل القبلة، بالياء المثناة من تحت »[1].

وهذا المطلب خصِّص لبحث هذه المسألة، فسأقف فيه على حكم اللحن في الأذان، وفي القراءة في الصلاة، وفي الدعاء، وأبيِّن تأثيره في العقود، والأيمان والحدود.

❁ ❁ ❁

(١) شرح السيوطي لسنن النسائي:١/ ٤٤ .

أولاً: اللحن في الأذان

نص الفقهاء على أن الأذان يكون بالعربية؛ لوروده بها كالقرآن، فلا يصح بغيرها إن أذَّنَ لجماعة؛ لأن الإعلام بدخول الوقت وهو القصد من الأذان لم يقع، وإن أذن غير العربي لنفسه، وهو لا يحسن العربية جاز عند الشافعية ولم يجز مطلقا عند الحنابلة والحنفية(١).

وصرح فقهاء المذاهب الأربعة بكراهة اللحن في الأذان، لكنه لا يفسد به، واستحبوا في المؤذن أن يكون سالما من اللحن(٢)، قال ابن قدامة: « ويكره اللحن في الأذان، فإنه ربما غَيَّرَ المعنى، فإن من قال: أشهد أنَّ محمدا رسولَ الله، ونصب لام رسول، أخرجه عن كونه خبراً »(٣).

وهناك أخطاء للمؤذنين مشهورة خصها الفقهاء بالذكر،

(١) الفقه الإسلامي وأدلته: ١ / ٥٤٠.
(٢) تبيين الحقائق: ١ / ٩٠-٩١، شرح الزرقاني لمختصر خليل: ١/ ١٥٨، المغني لابن قدامة: ٢/ ٩٠-٩١.
(٣) المغني لابن قدامة: ٢/ ٩٠.

لشهرتها وعموم البلوى بها، وقد أورد الإمام القرافي رحمه الله (ت٦٨٤هـ)[١] جملة منها أسوقها فيما يلي:

- يمدون الباء من « الله أكبر » فتصير « أكبار »، والأكبار جمع كَبر وهو الطبل.

- يمدون في أول «أشهد» فيخرج على حيز الاستفهام، والمراد أن يكون إخبارا إنشائيا، وكذلك يصنعون في أول الجلالة.

- الوقوف على « لا إله »، وهو كفر وتعطيل.

- لا يدغمون تنوين « محمداً » في الراء بعده، وهو لحن خفي عند القراء.

- لا ينطقون بالهاء من « الصلاة »، فيصبح دعوة إلى صلا النار[٢].

- لا ينطقون بالحاء من الفلاح، فلا يحصل المقصود.

❁ ❁ ❁

(١) الذخيرة: ٢ / ٥٦-٥٧، حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي: ١/ ٤٧٣. وهذه الأخطاء التي ذكروا مسموعة اليوم من أغلب المؤذنين، في أغلب الأقطار.

(٢) صلا الكافرُ النار، فهو يصلاها: قاسى حرها وشدتها.

ثانياً: اللحن في القراءة في الصلاة

ميَّز الفقهاء في الكلام على اللحن في القراءة في الصلاة بين نوعين: ما يغير المعنى، وما لا يغيره، وخصوا كل واحد بحكمٍ، وميزوا في الحكم بين العمد و بين السهو و الجهل.

واختصر ابن جُزيٍّ(٦٩٣هـ-٧٤١هـ) الكلام على حكم إمامة اللحان بقوله: « وأما اللحان فأربعة أقوالٍ، يفرَّق في الثالث بين من يلحن في أم القرآن وغيرها، وفي الرابع بين من يغير المعنى كـ « أنعمت » (بضم التاء والكسر)، وبين من لا يغيره »[1].

يعني: أن الصلاة خلف اللحان فيها أربعة أقوال:

- قول ببطلانها مطلقاً، لحن في أم القرآن أو غيرها.

- قول بصحتها مطلقا.

- قول ثالث: يُبطلها خلف من يلحن في أم القرآن فقط، دون غيرها من القراءة.

(١) القوانين الفقهية: ٦٩.

- قول رابع: يعتبر البطلان بتغيير المعنى؛ فحيث كان اللحن مغيراً للمعنى أبطلَ، وإلا فلا.

و قد بيَّن ابن جُزيٍّ في اصطلاح كتابه أنه إذا سكت عن حكاية الخلاف في مسألة، فذلك مؤذنٌ في الغالب بعدم الخلاف فيها[1]، لكن المسألة تحتاج إلى بيان وتفصيل، ويحسُن إفراد رأي كل مذهب بالذكر، حتى تتضح الصورة:

- **الأحناف**: بحث فقهاء المذهب الحنفي حكم اللحن ضمن ما بوَّبوا له بـ: « مسائل زَلَّة القارئ » وهو عنوان جامع جميل، لم أره لغيرهم، فيدخل فيه: اللحن والغلط، واستعجام القرآن، مما يقع للأئمة، والذي يعنينا هنا هو اللحن، وقد اختلف فيه رأي المتقدمين والمتأخرين؛ فكانوا فرقتين:

- فالمتقدمون: يرون أن الخطأ في الإعراب، أي في الحركات والسكون - ومنه تخفيف المشدد وعكسه، وقصر الممدود وعكسه، وفكُّ المدغَم وعكسه - إن لم يتغير به المعنى لا يُفسد

(١) القوانين الفقهية: ٨.

الصلاة، وإن غير المعنى أفسد. وقال أبو يوسف من المتقدمين: لا يُفسد، لعموم البلوى به، ولأنه لم يعتبر الإعراب[١].

- وأما المتأخرون: فأجمعوا على أن الخطأ في الإعراب لا يُفسد مطلقاً، وإن كان مما اعتقاده كفر؛ لأن أكثر الناس لا يميزون بين وجوه الإعراب، وفي اختيار الصواب في الإعراب إيقاعُ الناس في الحرج، وهو مرفوعٌ شرعا[٢].

قال ابن عابدين رحمه الله تعالى(ت١٢٥٢هـ): « وما قاله المتأخرون أوسع، وما قاله المتقدمون أحوط »[٣].

- **المالكية**: اختلف علماء المذهب المالكي في حكم اللحن في الصلاة، وحكم الاقتداء باللاحن، وذلك ما أشار إليه الشيخ خليل رحمه الله تعالى في مختصره بقوله: « **وهل بلاحنٍ مطلقاً، أو في الفاتحة، وبغير مميِّزٍ بين ضادٍ وظاءٍ: خلافٌ** »[٤]، والذي به الفتوى ما قرره الشيخ أبو علي المسناوي، وحاصله:

(١) حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح: ١ / ٢٣٠ .
(٢) حاشية ابن عابدين: ٤ / ١٠٤-١٠٥.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) مختصر خليل: ٤٠.

- أنَّ تعمُّد اللحن مُبطلٌ لصلاة اللاحن والمقتدي به باتفاقٍ.

- إن كان اللحن سهواً، أو لعجزٍ خلْقيٍّ، وهو لا يقبل التعلُّم، صحت صلاته وصلاة من خلفه باتفاق.

- إن كان اللاحن جاهلاً يقبل التعلم فهو محل الخلاف، سواءً أمكنه التعلم أم لا، وسواءً أمكنه الاقتداء بمن لا يلحن أم لا، وأرجحُ الأقوال فيه: صحة صلاته، وصلاة من خلفه.

وأما حكم الإقدام على الاقتداء باللاحن: فبالعامد حرام، وبالألكن جائز، وبالجاهل مكروه، إن لم يجد من يقتدي به، وإلا فحرام؛ ولا فرق بين اللحن الجلي والخفي في جميع ما تقدم[1].

هذا عن حكم اللحن في القراءة، وحكم الإقدام على الصلاة خلف اللاحن، وقد ذكروا أن اللحن في تكبيرة الإحرام أشدُّ منه في الفاتحة؛ للإجماع على اعتبارها في الصلاة دون الفاتحة[2].

(١) حاشية البناني على شرح الزرقاني لخليل: ٢ / ١٢.
(٢) شرح الزرقاني لخليل مع حاشية البناني: ٢ / ١٢.

- **الشافعية**: أما فقهاء الشافعية فبعد تقريرهم أنَّ اللحن حرامٌ على العالم العامد القادر مطلقا، أي في الفاتحة وغيرها، بنوا النظر في بطلان صلاة اللاحن ومَن خلفه على تغيير اللحن للمعنى:

- فما لا يغير المعنى: لا يضر في صحة صلاته والقدوة به، مطلقا، أي في الفاتحة وغيرها، وتكره الصلاة خلفه ابتداءً.

- وأما ما يغير المعنى: ففي غير الفاتحة: لا يضر فيهما (صلاته والقدوة به)، إلا إن كان عامداً عالماً قادراً، وأما في الفاتحة: فإن قدر وأمكنه التعلم ضر فيهما، وإلا فكالأمي، لا يصح اقتداء القارئ به، ويُمنع الاقتداء بمن لحنه يغير المعنى سواء كان في الفاتحة أو غيرها[1].

- **الحنابلة**: أما الحنابلة فعندهم تكره إمامة اللحان الكثير اللحن، لا من يسبق لسانه باليسير فقد لا يخلو من ذلك إمام

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: ٢ / ١٧١-١٧٢.

أو غيره، وتصح إمامته مع الكراهة، وهذا المشهور في مذهبهم، وأما تعمد اللحن فمبطل للصلاة[١].

وقد فصَّل ابن قدامة رحمه الله تعالى (٥٤١هـ-٦٢٠هـ)، في هذا الحكم تفصيلا بناه على تغيير اللحن للمعنى وعدم ذلك، فقال: « تكره إمامة اللحان الذي لا يحيل المعنى، نصَّ عليه أحمد، وتصح صلاته بمن لا يلحن؛ لأنه أتى بفرض القراءة، فإن أحال المعنى في غير الفاتحة، لم يمنع صحة صلاته، و لا الائتمام به، إلا أن يتعمده فتبطل صلاتهما »[٢].

وكان السلف رضي الله عنهم يرغبون عن اللحان ولا يرون تقديمه للإمامة؛ قيل للحسن البصري رضي الله عنه: إن لنا إماماً يلحن، قال: أخِّروه![٣].

❁ ❁ ❁

(١) الإنصاف للمرداوي: ٢ / ٢٧٢.
(٢) المغني لابن قدامة: ٣ / ٣٢.
(٣) شعب الإيمان للبيهقي: ٢ / ٤٣٠.

ثالثاً: اللحن في الدعاء

مما يكثر فيه اللحن، خاصة من العامة: الدعاء، سواء المأثور منه أو غير المأثور، وقد نص العلماء على أن من شرط إجابة الدعاء وآدابه: أن يسلم من اللحن[١].

وذكروا أن الأصمعي مر برجل يدعو ويلحن في دعائه، فسأله عن اسمه، فقال: ليث، فأنشد:

يناجي ربه باللحن ليثٌ كذاك إذا دعاه لا يجيب[٢]

وإذا كان الشخص نُهي عن القراءة وهو نعسان؛ خيفة أن يذهب يدعو فيسب نفسه[٣]، فهو في حالة الجهل بأوجه الإعراب جدير بالنهي، لنفس السبب؛ فقد يغير المراد فيدعو

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢ / ٣١٢.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي: ٢ / ٢٥٩.

(٣) ورد ذلك النهي في حديث متفق عليه؛ أخرجه البخاري (١ / ٨٧)، كتاب الوضوء، باب الوضوء من النوم، ومن لم ير من النعسة والنعستين أو الخفقة وضوء، برقم:٢٠٩،ومسلم (١ / ٥٤٣)، كتاب صلاة المسافرين، باب من أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر أن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، برقم:٧٨٦.

عـلى نفسـه، وقد يتلفـظ بالكفـر وهو لا يشـعر، اسـمع ما نقل السـيوطي رحمـه الله: « قيـل إن النصارى كفـروا بلفظة أخطأوا في إعجامها وشـكلها، قال الله في الإنجيل لعيسـى: « أنت نبيِّي ولَّدتُـك من البتول »، فصحفوهـا وقالوا: أنت بُنيِّي ولَدتُك من البتول، مخففاً »[١].

لكـن لعمـوم البلـوى ورفعاً للمشـقة عن النـاس؛ رخَّص بعـض العلماء في قـراءة الأدعية مـع اللحن فيها لمن لا يسـتطيع تقويم لسـانه، قال ابـن الصلاح: « الدعاء الملحـون إن كان ممن لا يستطيع غيره لا يقدح في الدعاء ويعذر فيه »[٢].

وهذا الترخيص شاملٌ عند بعض لقارئ القرآن والحديث، إذا كان يعجز عن التعلم، أو لا يقبله لكبر سنٍّ، أو بلادة، أو غير ذلك، ومن العجز أن يشغله التعلم عن معاشه[٣].

❁ ❁ ❁

(١) تدريب الراوي: ٢ / ٦٨.
(٢) فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث: ٤٤.
(٣) المصدر نفسه: ٤٥.

رابعاً: اللحن في ألفاظ الأيمان والحدود والإقرارات والعقود

الناظر في كتب الفقه يجد عبارة تتردد كثيراً؛ وهي قولهم: « **اللحن لا يمنع الانعقاد** »، وهي قاعدة عامة نجد لها عدة تطبيقاتٍ في كتب الفروع، منها:

- **في الأيمان**: لا يمنع اللحن انعقاد اليمين؛ نص الشافعية أنه إذا جاء بحرف القسم فتنعقد سواء نوى اليمين أو أطلق، وسواء جر أم رفع أم نصب؛ لأن اللحن لا يمنع الانعقاد(١).

قال ابن عابدين رحمه الله تعالى: « وكلام الناس اليوم خارجٌ عن قواعد العربية سوى النادر، فهو لغةٌ اصطلاحيةٌ لهم كباقي اللغات الأعجمية، فلا يعامَلون بغير لغتهم وقصدهم، إلا من التزم منهم الإعراب أو قصد المعنى اللغوي»(٢).

(١) نهاية المحتاج: ٨ / ١٧٨، حاشية ابن عابدين: ٣ / ٧٢٣، كشاف القناع:٦/ ٧٦.

(٢) حاشيته على الدر المختار: ٣ / ٧٢٤.

- **وفي الطلاق**: لو لحن المتلفظ بالطلاق في صيغته، لم يمنع ذلك اللحن وقوع طلاقه، حتى لو كان عارفا بالنحو إذ يعد هازلا والهازل يلزمه طلاقه؛ لأن هزل الطلاق كجده، قال في الفواكه الدواني في الكلام على الطلاق: « ...لم يتكلم- أي صاحب الرسالة - كخليل- في المختصر- على حكم اللحن في لفظه كما لو قال: أنت طالقاً بالنصب أو أنت طالقٍ بالخفض، والحكم أنه يلزمه كما قال القرافي؛ لأنه على فرض علمه بالنحو هازلٌ والهازلُ يلزمه »[١].

وصرّح أئمة المذهب الشافعي كذلك بعدم تأثير اللحن في وقوع الطلاق، فيقع طلاقه وإن نطق به ملحوناً[٢].

- **وفي التلفظ بالإقرار والقذف**: لا يمنع اللحنُ المقِرَّ من إلزامه ما أقرَّ به، ولا القاذف من مؤاخذته بقذفه؛ قال في أسنى المطالب: « ولا يؤثر اللحن في الإقرار كما لا يؤثر في الطلاق

(١) الفواكه الدواني في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني: ٢/ ٣٤ .
(٢) انظر تحفة المحتاج بشرح المنهاج: ٨ / ٢٩.

ونحوه »[١] وقال في مغني المحتاج: « ولا يضر اللحن بالتذكير للمؤنث وعكسه كما صرح به في المحرر، كقوله للرجل: يا زانية، وللمرأة: يا زاني »[٢].

- **وكذلك ألفاظ عقود المعاوضات**: خاضعةٌ أيضاً لقاعدة « **اللحن لا يمنع الانعقاد** » بل لعلها كانت موردها الأول؛ ففي البيع تنفذ صيغته من المتعاقدين ولو كانت ملحونة، « ولا يضر اللحن في الصيغة من العامي كفتح تاء المتكلم وإبدال الكاف همزة »[٣].

فهذه فروع من مختلف المذاهب الفقهية تؤكد عموم قاعدة « **اللحن لا يمنع الانعقاد** » المستعملة كثيرا في كتب الفقه، ولعل مردها إلى أصل عدم اعتبار الألفاظ في الصيغ ما دام المعنى مقصوداً، أو ما يعبر عنه بعبارة: « العبرة بالمعاني لا بالمباني »،

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب: ٢/ ٣٠٢ .
(٢) ٣ / ٣٦٧، الكافي في الفقه الحنبلي: ٤ / ٢١٩.
(٣) حاشية قليوبي: ٢ / ١٩١.

قال التسولي رحمه الله (ت١١١٤هـ): « المدار في العقود على المعاني لا على الألفاظ »[١].

ومن حسَن الاحتياط ودقيق الفهم أنّ الفقهاء رحمهم الله كانوا يستحضرون في أذهانهم احتمال وقوع اللحن أثناء إبرام الصفقات وكتابة الوثائق، فاحتاطوا لذلك بأن اشترطوا في كاتب الوثائق – في ما اشترطوا – أن يكون سالماً من اللحن[٢]، فبهذه الصفة يتدارك ما قد يبدر من أحد المتعاقدين فيصلحه ويحفظ عليه بذلك حقه.

❁ ❁ ❁

(١) البهجة بشرح التحفة: ٢/ ٥٣.
(٢) القوانين الفقهية لابن جزي: ١٣١.

الخاتمة

لقد أخذتك معي - عزيزي القارئ - في جولةٍ بين كتب العلماء ومصنفاتهم، مبينين أقوالهم، ومطلعين على آرائهم، بغية استكناه ظاهرة عمت البلاد والعباد، وأكلت الأخضر واليابس من لغتنا، ألا وهي: ظاهرة اللحن في لغتنا العربية.

فاللحن اليوم ملء السمع والبصر، في المكتوب والمقروء والمسموع، في شارات الشوارع، ولوحات المتاجر، في المدارس والمساجد، وفي الأندية والمجالس، يزيد من استشرائه جهلٌ مركَّب بعلوم اللسان، وهيمنة للعاميات، وفتنة عمياء بالمستعمر ولغته.

ولما كانت ظاهرة اللحن تمس لغةً شرفها الله سبحانه وتعالى، إذ أنزل بها آخر كتبه، وكانت لسان خاتم رسله، وجعلها لغة هذا الدين، ووعاء هذه الملة، لا سبيل لفهمها إلا من قِبَلِها، كان لا بد من تناول هذه الظاهرة المشينة وذات التداعيات الخطيرة في الدين والدنيا من بُعدين:

- **بُعد لغوي**: يبيِّن مدلول كلمة « اللحن » وما يتصل بذلك من معانٍ، و يؤطِّر هذه الظاهرة تأريخيّاً؛ فيتتبع بدايات ظهورها، ويقف على العوامل التي أدت إليها، مستعرضاً جهود العلماء في التصدي لها، وما نتج عن ذلك من آثار في اللغة خاصة، وفي علوم الشرع عامة.

- **بُعد فقهي**: يبين حكم اللحن وتأثيره في ما يقع فيه من عبادة وأيمان وعقود وإقرارات، ويبحث هذا الجانب من الظاهرة كنازلةٍ فقهية.

ويمكن أن نلخص النتائج التي وصل إليها البحث فيما يلي:

تميز لسان العرب بالإعراب، ولا يشاركه لسانٌ في هذه الميزة، وظل العرب يتناقلون لغتهم بالسليقة، بلا معالجة تعلم، ولا تكلف صناعة، ولما نزل القرآن بهذا اللسان، ارتبط بالدين ارتباطاً تاما، في جميع أموره، فبالعربية يدخل الإنسان في الدين، وبها يصلي، وبها يدعو ربه، فكان من دخل في الإسلام يبادر

إلى تعلم هذه اللغة، حتى يفهم التعاليم الجديدة، ويستوعب ما تأمره به[١].

وهذا المتعرِّب الجديد قد لا يستطيع التخلص من شوائب لغته الأصلية، فيختلط عليه القديم بالجديد، فيحصل على مزيج فاسد، ومن هنا نبتت نابتة اللحن، فالسبب الرئيس لظهوره هو اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب بعد خروجهم في الفتح الإسلامي، ودخول أمم جديدة في هذا الدين.

وهناك أسباب أخرى منها:

- **اشتغال غير العرب من العجم والموالي بالعلم**: تلقى الصحابة رضوان الله عليهم هذا الدين من الرسول ﷺ بلغتهم التي يعرفون، وعقلوا عنه أحكامه، ولما اتسعت الدولة الإسلامية انكبَّ أبناء المسلمين الجدد على تعلم القرآن وأخذ

(١) لا خلاف في انعقاد إسلام الأعجمي بلسانه إذا لم يحسن العربية، وفي قراءته في الصلاة، ودعائه بلسانه خلاف مبسوط في كتب الفقه. انظر: شرح النووي على مسلم: ١/ ١٤٩، المجموع: ٣/ ٢٤٨، الفواكه الدواني: ١/ ٣٩.

الحديث، والفقه والعلوم العربية، واشتغلوا بذلك اشتغالاً ظاهراً، لتفرغ العرب لسياسة الدولة والشؤون العامة، وعدم اعتيادهم معالجة العلوم، وصناعة التأليف والتدوين.

وهذه النخبة الجديدة كانت من الموالي والعجم، الذين أخذوا العلم بغير لغتهم التي يعرفون، ومن غير خطهم الذي يعهدون، فلم يستطع بعضهم ترويض لسانه، وصقل بيانه.

- **إهمال النقط والشكل في اللغة العربية**: فالعرب ظلوا يتكلمون لغتهم ويكتبونها غير منقوطةٍ ولا مشكولة، معتمدين على قوةٍ طبَعيةٍ وملَكة ذاتية، فلما أراد غيرهم أن يتكلم لغتهم، وقع في اللحن والتصحيف والتحريف، لفقد تلك الملَكة.

- **أصل وضع اللغة العربية**: وهذا عامل ذاتيٌّ في الكتابة العربية أدى إلى خطأ غير العربي في قراءتها، وهو أن العرب وضعوا لعدد من الحروف صورة واحدة لا يميزها إلا النقط، فكان وقوع غيرهم في الخطأ عند قراءة لغتهم وارداً.

- **الاختلاف في نطق الحروف من جيلٍ إلى جيلٍ ومن شعبٍ إلى شعبٍ**: فهناك حروف لا يستطيع غير العربي نطقها؛ كالضاد مثلاً.

- **اتخاذ المربيات من العجم، وعدم مراقبة أولياء الأمور لبنيهم في أطوار التنشئة الأولى**: وقد ظهر ذلك في فجر الدولة الإسلامية حين توالت الفتوح وكثر السبي، فاتخذ الناس الخدم والجواري، وكُنَّ المربيات في البيوت، فأخذ الصغار من لغتهن، واختلط المأخوذ مع الفطريّ، ففسدت الملكة، على حين غفلة من الآباء.

وأول ما اختل من كلام العرب وأحوج إلى التعلم: الإعراب، فظهر اللحن في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي ﷺ، فقد لحن رجلٌ بحضرته ﷺ، فقال: أرشدوا أخاكم فقد ضل.

وفي عهد الخلافة الراشدة استمر نمو اللحن وفشوه؛ إلى أن استوى على سُوقه في عهد بني أمية فما بعد.

وهـذه العوامل المذكورة هنا، كانت وراء ظهور اللحن أول مـا ظهـر، أما في وقتنـا الحاضر فهنـاك غلبة اللهجـات، وافتتان النـاس بالمسـتعمر ولغتـه، مع جهـلٍ مُركَّـب باللغـة الفصحى وعلومها، وسـعيٍ حثيثٍ من المتغربين والمسـتشرقين، إلى إصابة الإسـلام في إحـدى ركائـزه، والإيقـاع بالمسـلمين بحـل عقدة ارتباطهم واجتماعهم، بإبعادهم عن هذا اللسان الجامع الموحِّد، حقداً منهم، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله[1].

وقد تصـدى العلماء لهـذه الظاهرة في العصـور الأولى بكل حـزمٍ وقـوةٍ، وتـوزع عملهم عـلى منحيين: دفاعـي: هدفه صدُّ الدخيل وتصحيح الخطأ، ووقائي: سعى إلى حفظ الموجود نقيّاً، وحصر ما وقع من لحن.

فأثمرت هذه الجهود ما يلي:

- نقط القرآن وشكله.

(١) ارجـع إلى ما كتبه الأسـتاذ الدكتور حاتم الضامـن، في مقدمة كتابه: أربع كتب في التصحيح اللغوي.

- استنباط قواعد لحفظ اللسان وإعراب الكلام.

- جمع مفردات اللغة وحصرها في دواوين.

- احتواء ظاهرة اللحن بجمع ما وقع فيه من الكلمات والتراكيب في مؤلفات خاصة.

وأما المبحث الثاني في هذا البحث فكان مخصصا لبيان البعد الفقهي لظاهرة اللحن، وملخَّصه:

- اللحن سيئة يُستغفر منه، ويُعزِّر عليه الحاكم لأنه سوء أدب، في رأي بعض العلماء.

- لا يجوز اللحن في كتاب رب العالمين، و من تعمده كفر، ومن اللحن القراءة بلا تجويد.

- النبي ﷺ لم يكن يلحن، فلا يجوز اللحن في حديثه، ويُخاف على فاعله الدخول في وعيد الكذب عليه، ولذلك يلزم تعلم ما يصلح اللسان من النحو، وينجي من اللحن.

- يكره اللحن في الأذان، ولا يفسد به، وجمهور العلماء يرون بطلان الصلاة بما يغيِّر المعنى من اللحن في الفاتحة، ولكل مذهبٍ تفاصيل ذكرت هناك.

- أما ألفاظ الأيمان والقذف والعقود فلا يؤثر فيها اللحن، فعبارة الفقهاء في هذه المسألة سائرةٌ: اللحن لا يمنع الانعقاد.

فهذه محاولة للَفتِ الانتباه إلى خطر اللحن، وما يتعلق به من أحكام شرعية، في مختلف المذاهب الفقهية، هي مبلغ الجهد، ومنتهى الاستطاعة.

واستشعاراً لذلك الخطر، وتصدياً لما ينتشر من لحن، أوصي بما يلي:

- تفعيل دَور جمعيات الدفاع عن اللغة العربية، ومؤازرتها بما يحقق الهدف المنشود من ورائها.

- نهوض حمَلة العلم وطلابه والنخبة المثقفة بمسؤولياتهم في حفظ هذه الأمانة، وأدنى ما يمكنهم أن يُحيوا اللغة الفصيحة

في مخاطباتهم وكتاباتهم، فيعوِّدوا ألسنتهم الإعراب، ويجنبوها لحن العامية، ورطانة العجم.

- إسهام السلطات المختصة من بلديات وغيرها في هذا المجهود، وذلك بسن لوائح ونُظم تشترط السلامة اللغوية في الترخيص للّوحات والإشارات وغيرها، وإحضار الفصحى في الأماكن العمومية كالمطارات، والمستشفيات، فالله يَزَع بالسلطان ما لا يَزَع بالقرآن[1].

وإن مما يُسجل ويُشكر الاهتمام الخاص الذي يوليه صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي، حفظه الله، والمتمثل في مبادرة اللغة العربية التي أطلقها سموه هذا العام، وما تبع ذلك من توجيهات ومبادرات، وقيام جهات مختلفة برصد الأخطاء اللغوية وتصحيحها، فشكر الله هذا الجهد وبارك فيه.

(١) روي عن عمر وعثمان رضي الله عنهما موقوفا، انظر: الشعور بالعور: ١/ ١٢١، الجد الحثيث: ١ / ٦٠.

والبحث - عزيزي القارئ - جهد مُقِلٍّ، وهو خطوةٌ من خطوات ندب إليها قبل مئات السنين، أحد الذين قدموا حياتهم خدمةً لهذه اللغة، وهاموا بلسان قال فيه: « وما أجدرَ هذا اللسان وهو حبيب النفس وعشيق الطبع، وسمير ضمير الجمع، وقد وقف على ثَنِية الوداع، وهَمَّ قِبليُّ مُزنه بالإقلاع، بأن يعتنق ضمّاً والتزاماً كالأحبة لدى التوديع، ويُكرم بنقل الخطوات على آثاره حالة التشييع »[1].

والحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات، والله المستعان، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

❁ ❁ ❁

(١) القاموس المحيط: ١ / ٥.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ط١.

٢- أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.

٣- أربع رسائل في التصحيح اللغوي، تحقيق: ا.د. حاتم الضامن، مكتبة دار النهضة العربية و عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٤- أسنى المطالب في شرح روض الطالب للرملي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

٥- إعراب القرآن للنحاس، عالم الكتب بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٦- الأعلام لخير الدين الزركلي، القاهرة ١٩٥٤م.

٧- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت.

٨- الاقتراح في بيان الاصطلاح، لتقي الدين ابن دقيق العيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م .

٩- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ط٢، بدون تاريخ الطبع.

١٠- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، دار الفكر العربي القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية اللبنانية بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١١- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعلي بن سليمان المرداوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢- إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري، مجمع اللغة بدمشق ١٩٧١م.

١٣- البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط٤، مكتبة الخانجي بمصر.

١٤- البهجة بشرح التحفة للتسولي، دار الرشاد الحديثة، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

١٥- التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية، دار الفكر.

١٦- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، دار الكتاب الإسلامي، ط٢.

١٧- التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط٤، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٨- تصحيفات المحدثين، لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، المطبعة العربية الحديثة، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٩- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٠- التقييد والإيضاح، لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح، للحافظ زين الدين العراقي، دار البشائر، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢١- التمييز للحافظ مسلم بن الحجاج، تحقيق: د.محمد مصطفى الأعظمي، مطبعة الكوثر- السعودية، ط ٣، ١٤١٠هـ.

٢٢- تنبيه الألباب على فضائل الإعراب، للشنتريني، دار المدني مصر، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٣- التنبيه على حدوث التصحيف، لحمزة بن الحسن الأصفهاني، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.

٢٤- الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير، لأبي عبد الله محمد ابن الحسن الشيباني، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ.

٢٥- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٣م.

٢٦- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة.

٢٧- الجد الحثيث لأحمد بن عبد الكريم العامري، دار الراية، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٨- الجواهر المضية على المقدمة الجزرية، لسيف الدين بن عطاء الله الضالي المصري البصير، مكتبة الرشد ناشرون، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٩- حاشية ابن عابدين، دارالثقافة والتراث، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٠- حاشية البجيرمي على شرح منهج الطلاب (التجريد لنفع العبيد)، لسليمان بن عمر بن محمد البجيرمي، المكتبة الإسلامية، ديار بكر، تركيا.

٣١- حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح،

لأحمد بن محمد بن إسماعيل الطحاوي الحنفي، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، ط٣، ١٣١٨هـ.

٣٢- حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي، دار إحياء التراث.

٣٣- ديوان القتال الكلابي، تحقيق وتقديم: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٣٤- ديوان المتنبي بشرح العكبري، دار الأرقم بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٥- الذخيرة لشهاب الدين القرافي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٤م.

٣٦- رسم المصحف، إحصاء ودراسة لصالح محمد صالح عطية، منشورات جمعية الدعوة العالمية بليبيا، ط٢، ٢٠٠١م.

٣٧- شذرات الذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكبري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٨- شرح الزرقاني لمختصر خليل لسيدي عبد الباقي الزرقاني مع حاشية البناني، دار الفكر بيروت، دون رقم الطبعة ولا تاريخها.

٣٩- شرح السيوطي لسنن النسائي، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٤٠- شرح المقاصد في علم العقائد للتفتازاني، دار المعارف النعمانية باكستان، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٤١- شرح شذور الذهب لابن هشام، الشركة المتحدة للتوزيع سوريا، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٤٢- شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر للقاري، تحقيق: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم بيروت لبنان، بدون رقم الطبعة ولا تاريخها.

٤٣- شعب الإيمان للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٤٤ - شعر الأخطل تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، ط٤، ١٤١٦هـ-١٩٩٦.

٤٥- الشعور بالعور للصفدي، دار عمان، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٤٦- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٤٧- صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٤٨- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٩- الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية، للطوفي، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٥٠- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٥١- علوم الحديث لابن الصلاح، مطبعة الأصيل بحلب، ١٣٨٦هـ.

٥٢- غريب الحديث لابن قتيبة، تحقيق عبد الله الجبوري، نشر وزارة الأوقاف العراقية.

٥٣- الفاضل للمبرد، تحقيق الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

٥٤- فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث، لأبي عبد الله محمد الإفراني الصغير، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٥٥- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار المنهاج، ط١، ١٤٢٦هـ.

٥٦- فضائل القرآن لأبي عبيد، تحقيق وهبي غاوجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٥٧- الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٥٨- الفواكه الدواني في شرح رسالة القيرواني، للنفراوي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٥٩- القاموس المحيط للفيروزابادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٦٠- قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز ابن عبد السلام، مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

٦١- القوانين الفقهية لابن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٦٢- الكافي في الفقه الحنبلي لعبد الله بن قدامة المقدسي، دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت.

٦٣- كتاب الملاحن لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦م.

٦٤- كشاف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ، مصطفى هلال.

٦٥- الكشاف لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٦- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، مطبعة السعادة بالقاهرة، ط١، ١٩٧٢م.

٦٧- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٦٨- لسان العرب لابن منظور، مؤسسة التاريخ العربي، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٦٩- اللغة ودراستها، د. محمد عيد، دار علم الكتب، ط١.

٧٠- المجموع للنووي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م.

٧١- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، دار الفكر بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٧٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٧٣- مختصر خليل بن إسحاق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأخيرة، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٧٤- مرآة الجنان لأبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، دارالكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٧٥- المزهر، للسيوطي، دار الفكر، بلا مكان نشر، ولا تاريخه.

٧٦- مصنف ابن أبي شيبة لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩ هـ.

٧٧- معجم الأدباء لياقوت الحموي، دار المأمون.

٧٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق وشرح: د. عبد اللطيف محمد الخطيب، عن السلسلة التراثية الكويت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٧٩- المغني لابن قدامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان بالقاهرة، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٨٠- مفردات ألفاظ القرآن: العلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، عن دار القلم دمشق والدار الشامية.

٨١- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأبي العباس القرطبي، دار ابن كثير، بيروت، دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٨٢- مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس، طبعة مصطفى الحلبي، ط٣، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٨٣- مقدمة ابن خلدون، تحقيق: د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط ٣.

٨٤- المقنع في علوم الحديث لابن الملقن، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، دار فواز للنشر - ط الأولى، ١٤١٣هـ.

٨٥- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، دار المعرفة بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٨٦- نزهة النظر بشرح نخبة الفكر في مصطلح حديث أهل الأثر، لابن حجر العسقلاني، مكتبة التراث الإسلامي بمصر.

٨٧- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، الشيخ محمد الطنطاوي، دار المعارف.

٨٨- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، نشر مكتبة القاهرة.

٨٩- نقط المصاحف، للداني، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٩٠- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شهاب الدين الرملي، دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٩١- النهاية في غريب الأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

افتتاحية	٥
بين يدي الطبعة الثانية	٧
المقدمة	١١
المبحث الأول: البعد اللغوي لظاهرة اللحن	١٧
المطلب الأول: تحديد ماهية اللحن	١٩
أولاً: تعريف اللحن	٢١
ثانياً: التصحيف والتحريف	٢٩
المطلب الثاني: ظهور اللحن في اللغة العربية وآثار ذلك	٣٥
أولاً: كيف ظهر اللحن	٣٧
١- اختلاط العرب بغيرهم من الأمم والأجناس	٤٠
٢- اشتغال غير العرب من العجم والموالي بالعلم	٤٢
٣- إهمال النقط والشكل في اللغة العربية	٤٥
٤- أصل وضع اللغة العربية	٤٦
٥- عوامل أخرى	٤٧
ثانياً: تحديد بداية ظهور اللحن	٥١
ثالثاً: آثار ظهور اللحن	٥٣

١- نقط القرآن وشكله ٥٤
٢- استنباط قواعد لحفظ اللسان وإعراب الكلام ٥٦
٣- جمع مفردات اللغة وحصرها في دواوين ٦٠
٤- احتواء ظاهرة اللحن بجمع ما وقع فيه من الكلمات والتراكيب في مؤلفات خاصة ٦١
المبحث الثاني: البُعد الفقهي لظاهرة اللحن ٦٧
المطلب الأول: اللحن في القرآن الكريم والحديث الشريف ٦٩
أولاً: اللحن في القرآن ٧١
ثانياً: اللحن في الحديث النبوي الشريف ٧٧
المطلب الثاني: تأثير اللحن في العبادات والعقود وغيرها ... ٨٥
تمهيد ٨٧
أولاً: اللحن في الأذان ٨٩
ثانياً: اللحن في القراءة في الصلاة ٩١
ثالثاً: اللحن في الدعاء ٩٧
رابعاً: اللحن في ألفاظ الأيمان والحدود والإقرارات والعقود ٩٩
الخاتمة ١٠٣
المصادر والمراجع ١١٣

❁ ❁ ❁